العقل بين المقاومة والاستسلام

الأستاذ الدكتور أيمن عبد الخالق







العقل بين المقاومة والاستسلام

العقل بين المقاومة والاستسلام

الأستاذ الدكتور
أيمن عبد الخالق



ومضات للترجمة والنشر

الطبعة الأولى

2018

الناشر

ومضات للترجمة والنشر

البريد الألكتروني : wamadatpublisher@gmail.com

بيروت - الجمهورية اللبنانية


بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

الإنسان خليفة الرحمن........

منذ أن هبط الإنسان إلى الأرض ليتحمل أعباء الخلافة الإلهية، ويطوي طريق الاستكمال الطويل في هذا العالم الجديد، هبط معه الشيطان بكل ما يكنّه من عداوة للإنسان؛ ليكون حجر عثرة في طريق تكامله وارتقائه، وليفتح معه جبهة عريضة من الصراع المرير الذي لاينتهي إلا بانتهاء حياة الإنسان فوق هذه الأرض وقد اصطفى الله تعالى الإنسان وكرّمه بأحب الخلق إليه، وهو نور العقل؛ ليضيء له الطريق في ظلمات الأرض وليستعين به في صراعه المرير مع نفسه التي

---

(1) البقرة: 30.

تدفعه دائما إلى الركون إلى ملذات الدنيا وشهواتها، ومع الشيطان وجنوده الذين يسولون له حب الدنيا، ويزينون له طريق الشر، ويحولون بينه وبين معرفة الحق وفعل الخيرات وقد منّ الباري تعالي على بنى الإنسان على مر التاريخ بأن أرسل إليهم رسله وأنبياءه وحكماءه من جنود العقل، حاملين دستور الحكمة إليهم؛ ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته، ويثيروا لهم دفائن العقول ...... فمنهم من استضاء بنور عقله وسلك سبيل الخيرات وكان من جنود العقل والرحمن، ومنهم من أطفأ نور عقله واتبع هواه، وكان من جنود الجهل والشيطان وقد سعى معسكر الخير منذ بداية التاريخ لإحياء العقول والضمائر، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وتحرير الناس من كل القيود والأغلال المادية التي تحول دون ارتقائهم إلى سلم الإنسانية، وتصدوا بكل شجاعة وصمود في وجه معسكر الشر الساعي لمحاربة العقل والقيم الإنسانية والإلهية، من أجل استعباد الشعوب والهيمنة على مقدراتهم الذاتية لتحقيق مصالحه الشخصية والفئوية غير المشروعة.

وسوف يستمر هذا الصراع، بين جنود العقل وجنود الجهل إلى أن يأتي اليوم الذي تكتمل فيه عقول البشر، ويسود فيه القانون الإلهي، وترفرف فيه رايات العدالة والحرية، والعزة والكرامة الإنسانية، وتتحقق

فيه الحضارة الإنسانية الحقيقية تحت ظل الحكومة العقلية وهذا الكتاب يتناول مسألة بديعة مغفول عنها، وجديرة بالبحث والتحقيق، ألا وهي الدور الخطير الذي يمكن أن يلعبه العقل في إدارة الصراع بين الحق والباطل في الرؤى والأقوال، وبين الخير والشر في المواقف والأفعال، سواء على مستوى الصراع الداخلي بين الإنسان ونفسه، أو على المستوى الخارجي بينه وبين قوى الشر العالمي وسوف يتضح من خلال هذا البحث أن منشأ الصراع الاجتماعي والسياسي بين قوى الخير والشر منذ بداية التاريخ وإلى يومنا هذا مرجعه في الحقيقة إلى صراع العقل مع قوى النفس الأخرى داخل مملكة الإنسان، وأنّ الصراع الخارجي هو مظهر الصراع الداخلي، وأنّ الصمود والتحدي الذي يبديهما معسكر الخير في مقاومته لقوى الشر العالمي من أجل تحقيق العدالة والمحافظة على العزة والكرامة الإنسانية، إنما هو مستلهم من صمود العقل وانتصاره على قوى النفس الحيوانية، كما أنّ الذل والاستسلام اللذين ارتضاهما معسكر الشر أمام رغباته المادية ورموزه الشريرة، إنما هي النتيجة الحتمية لاستسلام العقل وهزيمته أمام الوهم والقوى الحيوانية.

وسوف نستعرض في الفصل الأول طبيعة النفس الإنسانية من الناحيتين التشريحية والوظيفية، حيث تمثل موضوع البحث المراد

إصلاحه أولا، وحتى نتمكن من استخراج المعايير والمبادئ الواقعية الضرورية، التي يمكن على أساسها التمييز بين ماينسجم مع طبيعة النفس وبين ماينافيها وفي الفصل الثاني نتعرض لبيان الدور الإيجابي والسلبي لقوى النفس الحيوانية المدركة والمحركة للإنسان؛ لكي نتمكن بعد ذلك من تقوية الجانب الإيجابي، واجتناب الجانب السلبي وأما الفصل الثالث فيتناول البحث عن فلسفة الحق والباطل في الاعتقادات والخير والشر في الأفعال، بنحو علمي موضوعي، بعد أن شابت هذه الألفاظ الكثير من المعاني الأخرى التي حجبت وشوشت معانيها الحقيقية ثم أبرزنا في الفصل الرابع الدور المشرق للعقل الإنساني البرهاني في تحقيق الكرامة الإنسانية؛ ليتجلى لنا دوره الريادي في توجيه دفة سفينة الحياة الإنسانية إلى بر السلامة وشاطيء الأمان.

وفي الفصل الخامس أشرنا إلى جنود العقل والجهل من الفضائل والرذائل الأخلاقية؛ ليتبين لنا دورها الفعال في عملية الصراع الداخلي بين العقل والغرائز الحيوانية أما في الفصل السادس فشرعنا ببيان كيفية إدارة العقل للصراع الداخلي مع قوى النفس الحيوانية على المستوى الاستراتيجي بما يشمل التخطيط والتنظيم والمراقبة والمحاسبة والتقييم؛ ليكون قدوة ودستورا لنا في إدارة الصراع الخارجي وفي الفصل السابع

والأخير استقصينا استراتيجية العقل في إدارة الصراع الخارجي مع قوى الشر العالمي، وهو في الواقع يمثل الصراع الطويل بين معسكر الخير والشر، هذا الصراع الذي يعكس في واقعه الصراع الداخلي بين العقل والقوى الحيوانية المختلفة في مملكة الإنسان، والذي غالبا ماتكون نتائجه الداخلية مؤثرة بقوة في نتائج الصراع الخارجي.

الفصل الأول
طبيعة النفس الإنسانية

إنّ الدخول إلى مملكة الإنسان واستكشاف جوانبها يُعد مقدمة ضرورية لمثل هذا البحث، حيث إنّ معرفة الإنسان لنفسه مُقدّم على معرفته لغيره، كما أنّ الوصول إلى السعادة الحقيقية التي يُنشدها كل إنسان في هذه الحياة ومابعدها، إنما يتوقف على تحقيق الانسجام بينه وبين نفسه، وبينه وبين غيره من الكائنات المحيطة به، وهذا رهن بمعرفة واقعية عميقة بماهية الإنسان وكينونته، ثم الانطلاق منها للتعرف على حقيقة كل مايدور من حوله مما يمكن أن يؤثر فيه أو يتأثر عنه.

وقد سبق وأن أثبتنا في معظم كتبنا وبحوثنا العلمية[1] أنّ المنهج العقلي البرهاني هو السبيل الوحيد لمعرفة الأشياء على حقيقتها، واستكشاف واقعها كما هو عليه بنحو علمي موضوعي، بعيدا عن الظنون والأوهام العرفية، والاستحسانات والسلائق الشخصية، وأنه هو

---

(1) راجع اصول المعرفة والمنهج العقلي، ومنتهى المراد للمصنف.

الضامن الوحيد لبناء منظومتنا الفكرية عن طبيعة الإنسان والعالم بنحو واقعي، ولبيان ما ينبغي القيام به من أفعال لتحصيل كمال مناسب مفقود، أو حفظ كمال موجود يمكن أن يعرج بنا إلى أوج السعادة، أو دفع ضرر محتمل يمكن أن يهوي بنا إلى حضيض الشقاوة.

وكما اكتشف الأطباء عن طريق المنهج الحسي التجريبي مكونات الجسم البشري ووظائفه الطبيعية، وتمكنوا من بعده من وضع معايير وقوانين الصحة البدنية، التي فتحت الباب أمام تطوير العناية الصحية والخدمات الطبية، وشتى الطرق العلاجية والوقائية، فقد تمكن الحكماء الإلهيون بفضل استعمال هذا المنهج العقلي القويم من التعرف على مكونات النفس الإنسانية وقواها، ووظائفها الطبيعية، والتي يكون العمل على مقتضاها هو صمام الأمان الوحيد لحفظ الصحة العقلية، وتحقيق الاستقرار النفسي والسعادة الحقيقية.

وسوف نستعرض في هذا الفصل طبيعة النفس الإنسانية من الناحيتين التشريحية والوظيفية على طبق ماتم اكتشافه من جانب الحكماء؛ ليكون أساساً ومنطلقاً لنا بعد ذلك في بيان الرؤية الواقعية التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان على المستويين النظري والعملي في هذه الحياة، وليتبين لنا كيفية نشوء الصراع الداخلي في مملكة الإنسان بين

عناصر الخير والشر، وانعكاسه على واقع الصراع الخارجي، وكيفية إدارة العقل لكل من الصراع الداخلي والخارجي بعد ذلك ..... فنقول:

بعد انعقاد نطفة الإنسان في رحم أمه يمر بالمرحلة الحيوانية من مضغة إلى علقة، ثم يبدأ تشكل أعضاءه تدريجيا من القلب ثم سائر الأعضاء الحيوية من المخ والجهاز العصبي والكبد والكليتين، وغيرها، إلى أن تفاض عليه بعد ذلك من عالم الغيب النفس الإنسانية المجردة عن المادة ـ كما اثبت ذلك الحكماء ـ وتتعلق بهذا الحيوان في بداية الشهر الرابع من المرحلة الجنينية، وتحوّله إلى نوع اخر، هو أشرف الكائنات في هذا العالم، وهو الإنسان، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا التطور بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾[1].

فأصبح الإنسان مركباً من جزءين متباينين من حيث الطبيعة، وبينهما علاقة وجودية متبادلة، سنشير إليها في القريب إن شاء الله تعالى:

أ ـ الجزء الأول: مادي يُشكّل الجانب الحيواني في الإنسان، وهو الجسم النامي الحساس المتحرك بالإرادة، بما يشتمل عليه من قوى النفس

---

(1) المؤمنون:12 – 14.

الحيوانية بقواها المدركة والمحركة المنطبعة في الجسم.

أما القوى المدركة الحيوانية فتنقسم إلى ظاهرة وهي الحواس الخمس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس، التي تنقل المعلومات الحسية الخارجية بواسطة الأعصاب إلى مراكز الإدراك في المخ ومنها إلى القوى الباطنية المنطبعة فيها، والتي تشمل الحس المشترك الذي تصب فيه سائر صور المحسوسات، والخيال الحافظ لهذه الصور، والوهم المدرك للمعاني الجزئية المتعلقة بهذه الصور، والذاكرة الحافظة لهذه المعاني الجزئية، بالإضافة إلى القوة المتصرفة التى تركب الصور والمعاني المختلفة قال ابن سينا ((*وللنفس الحيوانية بالقسمة الأولى قوتان: محركة، ومدركة*))[1].

ثم قال ((وأما القوة المدركة فتنقسم قسمين: منها قوة تدرك من خارج، ومنها قوة تدرك من داخل.

فالمدركة من خارج هي الحواس الخمس، وأما القوى المدركة من باطن فبعضها قوى تدرك صور المحسوسات، وبعضها تدرك معاني المحسوسات.

فمن القوى المدركة الباطنة الحيوانية قوة بنطاسيا والحس المشترك وهي قوة مرتبة في التجويف الأول من الدماغ تقبل بذاتها جميع الصور

---

(1) نفس الشفاء، ص56.

المنطبعة في الحواس الخمس المتأدية إليه، ثم الخيال والمصورة وهي قوة مرتبة أيضاً في آخر التجويف المقدم من الدماغ تحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية الخمس، ويبقى فيه بعد غيبة تلك المحسوسات.

ثم القوة التي تسمى متخيلة بالقياس إلى النفس الحيوانية، ومتفكرة بالقياس إلى النفس الإنسانية، وهي قوة مرتّبة في التجويف الأوسط من الدماغ عند الدودة، من شأنها أن تركّب بعض ما في الخيال مع بعض وتفصّل بعضه عن بعض، بحسب الإرادة.

ثم القوة الوهمية وهي قوة مرتبة في نهاية التجويف الأوسط من الدماغ تدرك المعاني غير المحسوسة الموجودة في المحسوسات الجزئية كالقوة الموجودة في الشاة الحاكمة بأن هذا الذئب مهروب عنه وأن هذا الولد هو المعطوف عليه. ويشبه أن تكون هي أيضاً المتصرفة في المتخيلات تركيباً وتفصيلا.

ثم القوة الحافظة الذاكرة وهي قوة مرتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني غير المحسوسة في المحسوسات الجزئية.

ونسبة القوة الحافظة إلى القوة الوهمية كنسبة القوة التي تسمى خيالا إلى الحس المشترك. ونسبة تلك القوة إلى المعاني كنسبة هذه القوة إلى الصورة المحسوسة. فهذه هي قوى النفس الحيواني))[1].

وأما القوى المحركة فتنقسم إلى قوى نزوعية بعيدة باعثة على الحركة وهي الشوق والإرادة، وهما ينبعثان من الصور المحسوسة أو المتخيلة المرتسمة في الذهن، إما بدافع غريزي حيواني من القوة الشهوية أو الغضبية، أو بدافع عقلاني عن العقل كما سيأتي بيانه، وإلى قوى قريبة منبثة في العضلات وفاعلة للحركة مباشرة قال ابن سينا ((*والمحركة على قسمين: إما محركة بأنها باعثة على الحركة، وإما محركة بأنها فاعله:*

والمحركة على أنها باعثة هي القوة النزوعية الشوقية، وهي القوة التي إذا ارتسمت في التخيل الذي سنذكره بعدُ صورةٌ مطلوبة أو مهروب عنها بعثت القوة المحركة الأخرى التي نذكرها على التحرك، ولها شعبتان: شعبة تسمى قوة شهوانية وهي قوة تبعث على تحريك تقرب به من الأشياء المتخيلة ضرورية كانت أو نافعة طلباً للذة. وشعبة تسمى غضبية وهي قوة تبعث على تحريك تدفع به الشيء المتخيل ضاراً أو مفسداً طلباً للغلبة.

(1) نفس المصدر، ص59.

وأما القوة المحركة على أنها فاعلة فهي قوة تنبعث في الأعصاب والعضلات من شأنها أن تشنج العضلات فتجذب الأوتار والرباطات المتصلة بالأعضاء إلى نحو جهة المبدأ أو ترخيها او تمدها طولا، فتصير الأوتار والرباطات إلى خلاف جهة المبدأ))[1].

ب ـ الجزء الثاني: مجرد عن المادة ومن سنخ عالم الغيب والملكوت، ويمثل حقيقة الإنسانية وجوهرها، والمشار إليه ب(أنا)، والمسمى بالنفس الناطقة في لسان الحكماء، وهي ليست داخلة في البدن دخول انطباع وامتزاج كما يتوهم البعض، ولاخارجة عنه خروج مباينة وتجافي، حيث لانسبة وضعية بينها وبين الجسم المادي، بل هي متعلقة به تعلقا تدبيرياً، كتعلق ذي الألة بآلته، فالجسم آلة النفس، كالقلم في يدي الكاتب يحركه بالإرادة ولهذه النفس الناطقة بالإضافة إلى قواها الحيوانية المدركة والمحركة المنطبعة في الجسم، والتي سبق وأن أشرنا إليها، فإنّ لها قوة قائمة بها مجردة عن المادة أيضا، هي القوة العقلية التى تمثل أشرف قوى الإنسان، وهي عقله وتنقسم هذه القوة العقلية في الواقع إلى قوتين، قوة مدركة ناظرة إلى عالم الغيب وماوراء الطبيعة تسمى بالعقل النظري، وقوة محركة ناظرة إلى عالم الطبيعة تسمى بالعقل العملي قال ابن سينا

---

(1) نفس المصدر، ص 57.

((وأما النفس الناطقة الإنسانية فتنقسم قواها إلى قوة عاملة وقوة عالمة. وكل واحدة من القوتين تسمى عقلا باشتراك الاسم أو تشابهه))[1].

ولعل قوله باشتراك الاسم يعنى أن أحدهما قوة انفعالية وهي القوة النظرية، والأخرى فاعلية وهي العملية، وأما قوله بالمشابهة، فلأن كليهما مجردتان عن المادة، أو لأنهما ينطبق عليهما المعنى اللغوى للعقل، وهو المنع والحجر، حيث يمنع العقل النظرى صاحبه من الخطأ في التفكير، ويمنع العملى صاحبه من الوقوع في الخطأ في الأفعال، كما سيأتي بيانه لاحقاً وأضاف *((فالعاملة قوة هي مبدأ محركٌ لبدن الانسان إلى الأفاعيل الجزئية الخاصة بالروّية على مقتضى آراء تخصها اصطلاحية، ولها اعتبار بالقياس إلى القوة الحيوانية النزوعية واعتبار بالقياس إلى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة، واعتبار بالقياس إلى نفسها))*[2].

هنا يشرع في بيان وظائف العقل العملي واعتباراته المختلفة بالنسبة للقوى الحيوانية المدبر لها*((فاعتبارها بحسب القياس إلى القوة الحيوانية النزوعية هو القبيل الذي تحدث منه فيها هيئات تخص الإنسان يتهيأ بها لسرعة فعل وانفعال مثل الخجل والحياء والضحك والبكاء وما أشبه ذلك))*[3].

---

(1) نفس المصدر، ص63.

(2) نفس المصدر، ص64.

(3) نفس المصدر، ص64.

هذا الاعتبارللعقل العملي بالنسبة للقوتين الشهوية والغضبية، وهذه الهيئات الإنسانية الخاصة المذكورة والمنبعثة عنه، تكون بمثابة مباديء لأفعال إنسانية تترتب عليها من الإقدام أو الإحجام تجاه تلك الرغبات الحيوانية لهاتين القوتين كما سيأتي تفصيله بعد ذلك *((واعتبارها الذي بحسب القياس إلى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة هو القبيل الذي تنحاز إليه إذا اشتغلت باستنباط التدابير في الأمور الكائنة الفاسدة (أي الأمور المادية)، واستنباط الصناعات الإنسانية))*[1].

وهذا الاعتبار هو أيضا من مختصات الإنسانية، والذي كان السبب الحقيقي وراء هذا التطور الصناعي الكبير للإنسان في شتى مجالات حياته المادية من المأكل والمشرب والملبس والمسكن ووسائل مواصلاته واتصالاته المختلفة على مر التاريخ وإلى يومنا هذا *((واعتبارها الذي بحسب القياس إلى نفسها هو القبيل الذي تتولد فيه بين العقل العملي والعقل النظري الآراء التي تتعلق بالأعمال وتستفيض ذائعة مشهور مثل: أن الكذب قبيح، والظلم قبيح، لا على سبيل التبرهن، وما أشبه ذلك من المقدمات المحدودة الانفصال عن الأوليات العقلية المحضة في كتب المنطق. وإن كانت إذا برهن عليها صارت من العقلية أيضاً على ما عرفت في كتب المنطق))*[2].

---

(1) نفس المصدر، ص64.

(2) نفس المصدر، ص64.

وهذا الاعتبار من أهم الاعتبارت الأخلاقية للعقل العملي، حيث يستنبط أحكام الأفعال الجزئية من الإدراكات القيمية الكلية التي يدركها العقل النظري بنفسه، ثم يقوم بتطبيقها على مواردها الجزئية ويصرح ابن سينا هنا بأنّ هذه الإدراكات القيمية الكلية ـ وإن لم تكن عقلية أولية ـ ولكنها عقلية برهانية يمكن أن يدركها العقل النظري بالتأمل، وليست مجرد اعتبارات اجتماعية نسبية مشهورة محضة كما يتوهم البعض ***وهذه القوة يجب أن تتسلط على سائر قوى البدن على حسب ما توجبه أحكام القوة الأخرى التي نذكرها حتى لا تنفعل عنها البتة؛ بل تنفعل تلك عنها وتكون مقموعة دونها، لئلا تحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستفادة من الأمور الطبيعية. وهي التي تسمى أخلاقا رذيلة، بل يجب أن تكون غير منفعلة البتة وغير منقادة، بل متسلطة، فتكون لها أخلاق فضيلة))***[1].

يشير إلى الوظيفة الواقعية للعقل العملي هي السيطرة على القوى الشهوية والغضبية ورغباتهما الحيوانية، وأنّها ينبغي أن تكون فاعلة فيهما وليست منفعلة عنهما، وأنّ الفضائل الأخلاقية مظهر ومبدأ الفاعلية والقيادة العقلية، ولهذا فهي من جنود العقل كما سيأتي، وأنّ الرذائل مظهر ومبدأ الانفعال والانقياد العقلي للرغبات الحيوانية، فهي من جنود الجهل...

---

(1) نفس المصدر، ص65.

وهي من المباحث الشريفة التي سنشير إليها في الفصول اللاحقة بالتفصيل إن شاء الله تعالى ثم قال *((فهذه القوة العملية هي القوة التي لها لأجل العلاقة إلى الجنبة التي دونها وهو البدن وسياسته، وأما القوة النظرية فهي القوة التي لها لأجل العلاقة إلى الجنبة التي فوقها لتفعل وتستفيد منها وتقبل عنها. فكأنّ للنفس منا وجهين: وجه إلى البدن، ويجب أن يكون هذا الوجه غير قابل البتة أثرا من جنس مقتضى طبيعة البدن، ووجه إلى المبادئ العالية. ويجب أن يكون هذا الوجه دائم القبول عما هناك والتأثر منه، فمن الجهة السفلية تتولد الأخلاق، ومن الجهة الفوقانية تتولد العلوم، فهذه هي القوة العملية، وأما القوة النظرية فهي قوة من شأنها أن تنطبع بالصورة الكلية المجردة عن المادة))*[1].

وهنا يختم كلامه بأن العقل النظري هو القابل للمعاني الكلية المجردة من عالم الغيب الذي فوقه، وبالتالي فهو مصدر العلم والمعرفة، وأنّ العقل العملي هو الفاعل في البدن الذي تحته، وهو مصدر الملكات الأخلاقية المختلفة، كما يؤكد على أنّ الحالة الطبيعية للعقل النظري هو محض التأثر والانفعال عن عالم الغيب لاغير، وأنّ مقتضى طبيعة العقل العملي هو التأثير في البدن، لا التأثر والانفعال عنه.

---

(1) نفس المصدر، ص66.

الفصل الثاني
الدور الإيجابي والدور السلبي
لقوى النفس الحيوانية

بعد أن فرغنا من بيان ماهية النفس الإنسانية وقواها المختلفة، ووظائفها الادراكية والحركية بنحو إجمالي في الفصل السابق، نشرع أولاً في هذا الفصل في بيان أهمية البدن والقوى الحيوانية المنطبعة فيه، ودورها الإيجابي في تحصيل النفس لكمالاتها العلمية والأخلاقية، حيث إن البدن هو آلة استكمال النفس، ثم نتعرض بعد ذلك لبيان الدور السلبي والخطير الذي يمكن أن تلعبه هذه القوى.

أولاً ـ الدور الإيجابي:

إنّ النفس الإنسانية في بداية نشوئها ـ وكما أثبت الحكماء ـ تكون خالية من أي كمال، وهذا يقتضي بدوره أن تتعلق بالبدن من أجل تحصيل كمالاتها الممكنة لها، حيث يُعد البدن آلة استكمال النفس الإنسانية، وقد أشار الفخر الرازي في شرح الإشارات إلى هذه النكته الشريفة بقوله

((لأنّ النّفس في مبدأ الفطرة تكون خالية عن جميع العلوم، ثمّ إنّه يحصل لها العلوم الضروريّة بسبب إحساس الحواسّ بالجزئيّات. ثمّ إنّها بتلك العلوم الضّروريّة تكتسب سائر العلوم النظريّة، فاستعمال الحواسّ لحصول العلوم الضروريّة هو المرتبة الأولى))[1].

وقد أشار القرآن الكريم لهذه النكتة المهمة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

فالنفس وإن كانت مجردة في ذاتها عن المادة، إلا أنها ـ وكما يقول الحكماء ـ تفتقر إلى المادة في أفعالها، حيث تتمكن من خلال الحركة التدريجية من اكتساب كمالاتها المطلوبة في زمان بقائها في هذه الحياة الطبيعية، وهذا هو سبب تعلقها بالجسم المادي وعنايتها به، وسنبين في هذا الفصل كيفية استكمال النفس بالبدن وقواها الحيوانية المنطبعة فيه:

أ ـ القوى الحيوانية الإدراكية:

تسنكمل النفس في مقام العلم والمعرفة بقواها الحيوانية المدركة على النحو التالي:

---

(1) نظر شرح الإشارات والتنبيهات (الفخر الرازي) ج1 مقدمة الشارح ص:1.

(2) النحل: 78.

1. الحس: الحس هو المصدر الأول للمعرفة الإنسانية، ولذلك قال أرسطو ((**من فقد حسا فقد علما**))[1].

فعن طريق أدوات الحس الموجودة في البدن تتدفق المعلومات الحسيّة المختلفة عن العالم المحيط بالإنسان إلى الدماغ، ومنها إلى ذهن الإنسان، حيث تُشكل المواد الخام الأولية للمعرفة الإنسانية.

2. الخيال: وهو الحافظ لهذه الصور المحسوسة، فهو بمثابة المخزن لها، والذي يضعها كلها تحت اختيار العقل بعد ذلك لينتزع منها المفاهيم والمعاني الكلية التي تمثل موضوعات ومحمولات المبادئ والمسائل العلمية المخيلة أو المفكرة: وهي من القوى الحيوانية التي يستطيع العقل الإنساني أن يفكر من خلالها بالحركة الذهنية بين المعلومات الموجودة، سواء في المسائل الفلسفية الاعتقادية الكلية أو في المسائل الجزئية المتعلقة بالعلوم والصناعات المختلفة، كالرياضيات والطبيعيات.

3. الوهم: وهو المدرك للمعاني الجزئية التي يستطيع العقل بعد ذلك أن ينتزع منها الكثير من المعاني الكلية الثانوية المختلفة بعد تجريدها من صورها ومتعلقاتها الجزئية.

---

(1) برهان أرسطو، ص414.

ب ـ القوى الحيوانية المحركة:

تستكمل النفس الإنسانية في مقام العمل بأفعالها الاختيارية، حيث إنه ومن خلال تكرار العمل والحركة تكتسب النفس الملكات الأخلاقية المختلفة، التي تقترن بالنفس وترسم شخصيتها الفردية والاجتماعية، وتنقسم القوى الحيوانية المحركة إلى:

1. **القوى النزوعية:** وهما الشوق والإرادة المنبعثان عن الإدراك، واللذان يشكلان المبادئ الأولى للحركة الإرادية، إما لتحصيل النفع أو دفع الضرر.

2. **القوى المحركة المنبثة في العضلات:** وهي التى تنبعث عن القوى النزوعية لتحرك العضلات بالقبض والبسط على طبق الفعل المراد ومن هنا يتبين لنا الدور الإيجابي الكبير الذي يمكن أن تضطلع به القوى الحيوانية المدركة والمحركة في البدن في تأمين شتى العلوم والمعارف الإنسانية من جهة، والملكات الأخلاقية التي يحتاجها الإنسان في حياته وبعد مماته من جهة أخرى.

ومن أجل كل هذا فقد صارت النفس مرتبطة ومتعلقة بشدة بجسمها، من حيث هو آلة لاستكمالها، ومابرحت تبعث فيه الحياة

والنشاط، وتسعى بقوة للعناية به والحفاظ عليه، وذلك عن طريق قوتين حيوانيتين هما القوة الشهوية والقوة الغضبية:

1. **القوة الشهوية:** ووظيفتها الوحيدة هي جلب النفع لكل مايحتاجه جسم الإنسان في حياته في هذا العالم من الطعام والشراب عن طريق إيجاد الشعور بالجوع والعطش، اللذين هما بمثابة جرس إنذار لاحتياجات الجسم الطبيعية، وهما يدفعان بدورهما الإنسان لتأمين هذه الاحتياجات بشتى السبل من أجل الحفاظ على صحة الجسم كما أن القوة الشهوية تلعب دورا أساسيا في تحريك الغريزة الجنسية وإيجاد الميل الشديد للنكاح المستلزم للتكاثر، وبالتالي حفظ النسل البشري من الفناء.

2. **القوة الغضبية:** ووظيفتها هي دفع الضرر المتوجه لجسم الإنسان، عن طريق إيجاد حالة الشعور بالخوف والحذر من أن يصل أي مكروه من قتل أو جرح أو ألم ومرض أو غيرها من الأضرار المادية إلى جسم الإنسان، من أجل المحافظة على السلامة البدنية فببركة هاتين القوتين الحيوانيتين تحفظ النفس الإنسانية البدن من التلف؛ ليبقى لها آلة لاستكمالها ولسعادتها في الدارين وإلى هنا نكون قد انتهينا من بيان الدور الإيجابي لقوى النفس الحيوانية في مملكة الإنسان، لننتقل بعدها لبيان الدور السلبي لها.

ثانيا ـ الدور السلبي:

إنّ الدور السلبي لهذه القوى يتلخص في عملها المادي المطلق والمبهم دون تمييز بين ماهو صحيح ونافع في الواقع وبين ماليس كذلك؛ لأنها قوى حيوانية غير عاقلة، وسنبين ذلك بنحو من التفصيل:

أ ـ القوى الحيوانية المدركة: إنّ كل من الإدراك الحسى والخيالي والوهمي، إنما يتعلق دائما بالأمور الحسية المادية، وهذه الأمور وإن كانت تتعلق بجانب مهم وضرورى من الواقع المُعاش، إلا أنها لاتمثل كل الواقع الموجود، كما ثبت ذلك عند الحكماء هذا بالإضافة إلى أن المعرفة الحسية معرفة قشرية تتعلق بظواهر الأشياء المادية لاغير، دون حقائقها، كما أنها معرفة جزئية نسبية متغيرة في أكثر الأحيان فالاكتفاء بهذه المعرفة الحسية، وحصر المعرفة الإنسانية فيها، والتنكر لما عداها من المعارف العقلية الحقيقية الكلية الثابتة والمطلقة التي تتعلق بهوية الإنسان وسعادته ومصيره في الدنيا والاخرة، يُعد من أكبر المظاهر السلبية التي يمكن أن تترتب على طغيان عمل هذه القوى الحيوانية المدركة كما أن القوة المخيلة كثيرا ماتشغل ذهن الإنسان وتلهيهه بالاستغراق في الأمور الخيالية العبثية المانعة من التوجه لعالم الغيب أو التفكير الصحيح هذا بالإضافة إلى منازعة الوهم للقوى العقلية، ومحاولة منعها من إصدار أي

أحكام مخالفة له، أو تكون وراء الحس من الأحكام العقلية الفلسفية المجردة، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى تغليط العقل وتضليله عن الاعتقادات البرهانية الواقعية.

ب ـ **القوى الحيوانية المحركة**: هذه القوى تسعى أيضاً ـ وكما أسلفنا ـ إلى جلب النفع أو دفع الضرر عن الإنسان بنحو مطلق، ودون تمييز بين ماهو نافع أو ضار في الواقع والحقيقة وبين ماهو ليس كذلك، وسنشير إلى كل واحدة منها على حدة:

1. **القوة الشهوية**: وهي كما قلنا قوة غريزية حيوانية تسعى لتأمين كل مايحتاجه الجسم من غذاء أو شراب أو نكاح من أجل المحافظة عليه وعلى بقاء النسل البشري، ولكنها في نفس الوقت لا يمكنها بنفسها التمييز بين ماهو نافع للإنسان في الواقع أم لا، حيث إنها لا تعتني في أصل تكوينها إلا بالجسم الذي هو جزء الإنسان، بل مجرد آلة لاستكمال الإنسان في حقيقته كما أشرنا، بالإضافة إلى أنها تسعى لتأمين هذه المنافع المادية بشتى الطرق، ولو على حساب روح الإنسان وعقله، حيث إنها لاتبالي بكون هذه المنافع المادية نافعة أيضا لروح الإنسان أو ضارة به، كما أنها لاتلتفت لحقوق الاخرين ومصالحهم المشروعة.

2. **القوة الغضبية**: وهي أيضا قوة حيوانية تسعى لدفع أ ي ضرر مادي محتمل يمكن أن يلحق بالجسم لاغير، وتسعى لذلك بكل السبل المتاحة بغض النظر عن مشروعيتها، أو ضررها النفسي والمعنوي على نفس الإنسان أو على غيره من الناس، حيث إنها لاتدرك هذا ولا تأبه به.

3. **القوى النزوعية**: وهما الشوق والإرادة اللذان يُعدان من المباديء الضرورية للحركة الاختيارية، وهما أيضا من حيث طبيعتهما ينبعثان عن إدراك مطلق النفع أو الضر سواء كان ماديا أو معنويا، وسواء كان بتوجيه من جانب العقل أم بإيعاز ورغبة من جانب القوى الشهوية والغضبية ومما تقدم يتبين لنا أنّ هذه القوى الحيوانية في نفسها سلاح ذو حدين قد ينشأ عنها النفع كما ينشأ عنها الضرر، ولذلك وجب بمقتضى الحكمة والعناية الإلهية أن تمارس عملها تحت إشراف وحكومة العقل كما سيأتي بيانه؛ لتبقي في خدمة تحقيق المصالح العليا للإنسانية والمجتمعات البشرية.

الفصل الثالث
فلسفة الحق والباطل والخير والشر

هذا الفصل يعتبر من الفصول التمهيدية الضرورية للفصول اللاحقة له، حيث إنّ معرفة طبيعة الحق والباطل في الآراء والاعتقادات من جهة، والخير والشر في العمل والأفعال من جهة أخرى، يمهد الطريق لمعرفة السبيل إليها أولاً، وتمييز معسكر الحق والخير عن معسكر الباطل والشر ثانياً، وكيفية إدارة الصراع بينهما ثالثاً، بنحو موضوعي واقعي بعيداً عن الاستحسانات الشخصية، والتحزبات الفئوية، والارتكازات العرفية والعرقية أو الأحكام المذهبية والطائفية، والتي قد تحرف الأمور عن مواضعها من أجل تحقيق مكاسب شخصية أو فئوية أو مذهبية عابرة ونحن هنا نريد أن نتجرد عن كل هذه الأمور العارضة والغريبة عن أصل الواقع، وبمنأى عن أي ضغوط خارجية شخصية كانت أو فئوية، عرفية كانت أو مذهبية، ليكون بحثنا بحثاً علمياً موضوعياً، يكشف لنا الواقع

كما هو، حتى تكون حركتنا على بصيرة، وانتماؤنا للحق والخير في نفسيهما لاغير ... فنقول:

لاشك أنّ الباطل هو عدم الحق، والشر هو عدم الخير، فالحق والخير أمور موجودة، ومطلوبة لكل عاقل، وإذا افتقدناها وقعنا تلقائيا في مستنقع الباطل والشر، ولذلك فسوف يكون بحثنا هنا أولاً وبالذات عن فلسفة الحق والخير، وثانيا وبالعرض عن الباطل والشر، فمن أدرك الحق أدرك الباطل، ومن عرف الخير عرف الشر وسوف نستكشف اولاً معنى الحق والخير، ثم نبحث عن السبيل للتعرف عليهما والوصول إليهما، ثم نشير بعد ذلك إلى أهميتها الضرورية والمصيرية للإنسان في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة.

- **أولاـ مبحث الحق:**

1. **معنى الحق:** إنّ الحق يعني ماهو متحقق وثابت في نفسه في الواقع والوجود من دون فرض فارض او اعتبار معتبر، وهذا مايظهر لنا بأدنى تأمل، حيث إنّ كل من يدعى حقانية اعتقاده أو صوابية رأيه فإنه يقصد بذلك أنّ رأيه أو اعتقاده مطابق لما هو متحقق وثابت في نفسه في الواقع، أي أنّ مايراه ويعتقده هو واقعي وليس موهوم أو مخترع ومن هنا يتبين لنا أنّه من دون تصور هكذا معنى موضوعي للحق في الواقع ونفس

الأمر، فلايمكن أن يكون هناك معنى للصدق و الكذب، أو للصواب والخطأ، حيث إن الصدق يكون معناه ماصدّق الواقع وطابقة، والكذب خلافه، ويكون الصواب ماأصاب الواقع، والخطأ خلافه وبهذا يتضح لنا ثبات الحق وموضوعيته، وعدم خضوعه لحسابات الشهرة حتى نعتبر العرف الحاكم بيننا هو الحق، وأيضا عدم تبعيته لموازين الربح والخسارة، حتى نتوهم أنّ القوي أو المنتصر دائما على حق، والضعيف أو المنهزم هو على باطل أما ثباته؛ فلأنّ تغيره يستلزم التناقض مع بقاء نفس الموضوع، فلو كانت الأربعة في ذاتها عدد زوجي، فلايمكن أن تتغير لاستلزام ذلك سلب الشيء عن نفسه وبالتالي اجتماع النقيضين، يأن يكون الشيء هو وليس هو، وأيضا لو كانت النار فى ذاتها محرقة، فستبقي كذلك أيضا لنفس السبب، أما تغير الأمور الاعتبارية، أو الأحوال العرضية غير الذاتية للأشياء المادية الواقعة في وعاء الزمان والمكان، فهو أمر ممكن لااستحالة فيه، ولا ينافي ماقلناه، وتبقي واقعيته ثابتة أيضا في نفس ظرف المكان والزمان أما موضوعية الحق فبمعنى اطلاقه وعدم نسبيته للأشخاص، وهو أمر واضح بناء على مابيناه من كون الحق ثابت في نفسه دون فرض فارض أو اعتبار معتبر، وأما من يتوهم أنه ليس هناك حق مطلق موضوعي، فهو بالإضافة إلى أنه يناقض

نفسه عندما يحكم ويُنظّر بنحو مطلق، فهو يسلب من حيث لايشعر أي معنى للصدق أو الصواب، حيث يستلزم ذلك تعدد الحق والصواب بتعدد قائليه، ولأمكن اجتماع النقيضين في نفسه وأما بالنسبة لعدم خضوع الحق لمبدأ الشهرة أو كونه مشهوراً، فواضح أيضا من نفس تعريفه، حيث إن شهرة الاعتقاد كما هو معلوم يخضع لعدة عوامل تاريخية وبيئية واجتماعية وسياسية اختيارية، لاعلاقة لها دائما بثبات الأمر في نفسه، فليس كل حق مشهور، ولاكل مشهور حق هذا بالإضافة إلى أنّ إدخال مبدأ الشهرة في ماهية الحق، يجعله متغيرا ونسبيا، حيث إن الكثير من المشهورات تختلف باختلاف الزمان والمكان،مما يسلبه ثباته وموضوعيته، وهو محال كما بيّنا من قبل وأما عدم مدخلية الربح والخسارة في معنى الحق، فلأنّ الربح والخسارة يترتبان على الأفعال الاختيارية، وتخضع في كثير من الأحيان إلى الأسباب الاتفاقية، والحق ـ كما عرّفناه ـ ثابت لاباختيارنا، ويخضع لأسبابه الذاتية هذا بالإضافة إلى أنّ حقيقة الربح والخسارة ومعيارهما، تختلف باختلاف المباديء والرؤي الكونية المتعددة للحياة، وهل أنهما يتعلقان بالربح والخسارة الماديين والدنيويين، كما هو اعتقاد أصحاب المذهب النفعي البراجماتي، أو أنهما يتعلقان أيضا بالربح والخسارة المعنويين والأخرويين كما يعتقد

المؤمنون بالله واليوم الآخر ومما تقدم يتبين لنا بكل سهولة معنى الباطل، الذي هو نقيض الحق، وهو كل ماليس ثابتا في نفسه في الواقع، بل تم تحميله وافتراضه وتلفيقه بالأحكام الخاطئة أو باعتبار المعتبر، متوهما وجوده في الواقع، كمن يعتقد بأن الأرض مسطحة وليست كروية، أو أنها ساكنة والشمس تدور حولها، أو انّ الظواهر الحادثة لاسبب لها، وغير ذلك من الظنون والأوهام المنافية للواقع، والتي لاتنطبق إلا على أوهام أصحابها ومعتقديها.

2. **معرفة الحق**: بعد أن عرفنا معنى الحق وخبرناه، يطرح هذا السؤال نفسه، وهو ماالسبيل إلى معرفته؛ لأنّ بمعرفته نعرف الصواب، ونميزه عن الخطأ وربما وللوهلة الأولى يتعسر علينا الجواب، حيث إنّ الحق ـ وكما بيّنا ـ هو الثابت في نفسه بمعزل عن آراءنا واعتقاداتنا التي قد تطابقه فتصدق أو تخالفه فتكذب، فكيف نحرز هذه المطابقة، أو ببيان آخر كيف نحرز أنّ ماأثبتناه في أذهاننا هو ثابت في نفسه كذلك دون أي تعمل عقلي أو افتراض وهمي؟

أقول لقد بينّا ذلك بالتفصيل في بحوثنا العقلية المختلفة[1]، وأثبتنا أنّ البرهان العقلي القويم هو الطريق الأصيل للوصول إلى الواقع كما هو

---

(1) منتهي المراد، ص32.

في نفسه؛ لابتنائه على مباديء عقلية بديهية واضحة عند جميع العقول، وثابتة وموضوعية وصادقة في نفسها، وهي نفس مواصفات الحق المذكور، ومابُني على الحق والصدق لايهدي إلا إلى الحق، ولايدل إلا على الصدق، ومايهدي إلى الحق أحق أن يُتبع.

وأما من أعرض عن المنهج العقلي الرصين، والقسطاس المستقيم، وبنى آراءه واعتقاداته على الاستحسانات والأهواء الشخصية، والمشهورات العرفية، وأقوال من يثق فيهم ويميل إليهم من الأكابر والمشاهير، فقد تنكب الصراط المستقيم، وبنى صرح معرفته على شفا جرف هارٍ، لاماآل له إلاإلى الحيرة والضياع، والتشبث بما هو حق موهوم في ظاهرة، وباطل مسموم في باطنه.

- **ثانياـ مبحث الخير:**

1. معنى الخير:

الخير بنحو عام هو مايميل إليه الإنسان بشوقه ويختاره بإرادته، وليس إلا مايراه كماله المناسب له والموجب لسعادته ولكن قد ينبعث هذا الشوق إلى الكمال والخير المأمول وتتبعه الإرادة بنحو غريزي بدافع من القوة الشهوية أو الغضبية، بعد تصوره بصورة حسية أو خيالية أو وهمية، ويهدف إلى تحصيل اللذة الشخصية المتعلقة بإشباع إحدى

هاتين القوتين التي لاتمثل إلا الجانب المادي في الإنسان، كما هو الحال في تحصيل الطعام والنكاح، أو دفع مايتصوره من أخطار وأضرار مادية وقد ينبعث هذا الشوق إلى الكمال والخير المنشود، وتتبعه الإرادة بنحو عقلاني ولكن بدافع من العقل العملي المترقي عند الإنسان، بعد تصوره بالمعاني العقلية الكلية، ويصبوا إلى تحقيق المصلحة العامة للإنسان ككل، بشقيه المادي والمعنوي، وهو الخير الحقيقي المؤدي إلى تحقيق السعادة الحقيقية للإنسان، كالسعي لتحقيق العدالة الاجتماعية، وتحرير الناس من الظلم والاستبداد، أو كتعليم الناس وهدايتهم، أو مساعدة المحتاجين والفقراء.

ذلك لأن الخير الحسي المادي الذي يؤدي إلى إلحاق خسارة بالجانب المعنوي الذي يمثل حقيقة الإنسان الباقية، ليس بخير في الحقيقة، وإن أدى إلى تحصيل لذة عابرة، أو سعادة جزئية مؤقتة كشرب الخمر والمخدرات أو السرقة أو الزنا أما الخير العقلي فلايعني بأي حال من الأحوال الكمال المعنوي فقط دون المادي، بل الخير العقلي هو الذي يراعي كمال الإنسان كوحدة واحدة مؤلفة من روح وبدن، ويعطي كلاً حقه الطبيعي دون إضرار بجانب دون آخر، حيث إنّ الجسم ـ كما قلنا ـ آلة استكمال الروح، والعناية به هو عناية بالروح أيضا، ولكن مع

تقديم الكمال المعنوي على الكمال المادي عند التزاحم، لكونه خيراً وأبقى، فمن الممكن حينها أن يضحي بالكمال المادي من أجل حفظ أو تحصيل الكمال المعنوى الأشرف، بناء على رؤيته الكونية الواقعية عن الإنسان والعالم، فقد يضحي الإنسان بماله من أجل شرفه وكرامته، بل قد يضحي بماله ونفسه من أجل دينه وعزته.

ومما تقدم يتضح لنا أنّ معني الشر هو أمر عدمي مرجعه إلى فقدان الخير الموجود، كالمرض الحاصل من فقدان الصحة أو الفقر الحاصل من فقدان المال، أو الجهل الحاصل من فقدان العلم، أو مايمنع من تحصيل الخير المفقود، كمن يمنع الناس من تحصيل أرزاقهم وعلومهم.

والذين يتسببون في فقدان الناس لخيراتهم الموجودة بسلبها مباشرة أو إعطائهم ما يتسبب في فقدانها، أو منعهم من تحصيل الخيرات الملائمة لهم، هم الأشرار من الناس الذين لايبالون إلا بمصالحهم الشخصية والفئوية وأما الذين يعملون على العكس من ذلك بإعطاء الناس حقوقهم المشروعة أو المحافظة عليها، وتيسير السبل لتحصيلها، فهم الصالحون المصلحون العاملون من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية.

2. معرفة الخير:

إنّ معرفة الخير والكمال الحقيقي، يعنى معرفةماينسجم بالفعل مع

طبيعة الإنسان المادية والمعنوية معا، وهذا لايتأتى إلا بالمعرفة العلمية الموضوعية لواقع الإنسان في نفسه، ومايدور من حوله من الأشياء الأخرى، حتى يتمكن بعد ذلك من تحصيل كماله الواقعي والحفاظ عليه، أو دفع الضرر الحقيقي الذي قد يهدد كيانه الإنساني وهذا النحو من المعرفة الواقعية لا يمكن أن يتحقق ـ كما أسلفنا مراراً وتكراراً ـ إلا عن طريق المنهج العقلي البرهاني القويم الذي يكشف لنا الأشياء كما هي عليه في الواقع ونفس الأمر، وبالتالي يرشدنا إلى طلب الخير الحقيقي والسعادة الأبدية أما من أعرض عن عقله، واعتمد على غيره من أحاسيسه وخيالاته وأوهامه، أو المشهور في مجتمعه، أوالمقبول من ثقاته وأحبائه، فقد وضع نفسه ومصيره في مهب الريح، وعرّض نفسه وأهله إلى الحيرة والضياع، حيث سيظل يلهث وراء الكمالات الوهمية، واللذات الوقتية والسعادات الجزئية إلى نهاية عمره.

الفصل الرابع
الدور المشرق للعقل في تحقيق الكرامة الإنسانية

لقد تبين لنا في المباحث السابقة أنّ إنسانية الإنسان إنما تكون بروحه لابجسمه، وأنّ الجسم ليس إلا آلة لاستكمال النفس الإنسانية وقد أثبت الحكماء أنّ روح الإنسان مجردة عن المادة والماديات، ومتعالية عن الجسم والجسمانيات، وأنها من سنخ عالم الغيب والملكوت، وأنها من روح الباري تعالى مبدأ الوجود، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[1].

كما أثبت الحكماء أيضاً أنّ القوة العاقلة هي أشرف قوى النفس الإنسانية، وأنّها أيضا مجردة عن المادة في نفسها، وأنها باقية ببقاء الروح، وبعد الموت وفناء الجسم فالعقل في الحقيقة هو من اللوازم الذاتية للنفس

---

(1) الحجر:28 ـ 29.

الإنسانية التي لاتنفك عنها أبدا، ووزيرها المفكر والمدبر، والذي من خلاله تكتسب النفس كمالاتها النظرية والعملية، التي هي محصول عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وذخيرته في الآخرة وسنبين في هذا الفصل الدور المشرق والمصيري الذي يلعبه العقل بشقيه النظري والعملي في ارتقاء الإنسان وتكامله، وتحقيق كرامته وسعادته الحقيقية:

أـ دور العقل النظري:

قد سبق وأن بينّا في الفصل الأول أنّ العقل النظري ناظر بوجهه إلى عالم الغيب، مستفيض منه العلوم والمعارف العالية، وأنه هو المدرك للمعاني الكلية العامة بنفسه، وسائر المعاني الجزئية بالاستعانة بالحس والخيال، وسنحاول هنا أن نغوص أكثر في تفاصيل فاعلياته؛ لنكشف عن دوره الهام في حياة الإنسان وتحصيل كماله العلمي والفكري، ولكن هذه المرة بأسلوب بسيط بعيدا عن التعقيدات المنطقية والفلسفية التي تعرضنا لها في مباحث علمية أخرى:

1. إدراك المفاهيم البسيطة الفطرية التي يحصل عليها بالتحليل العقلي، كمفهوم الوجود والعدم والإمكان والوجوب والاستحالة، وكذلك العدالة والحرية والكرامة، وغيرها من المعاني البديهية، والتي تعتبر المباديء الأولى لتصور الأشياء وتعريفها تعريفا واقعيا.

2. إدراك القضايا البديهية الفطرية التي يكتشفها باكتشاف العلاقة الرابطة بين طرفيها، كقضية امتناع اجتماع النقيضين، وأنّ الكل أعظم من جزئه، ومساو المساوي مساو، وأنّ الحوادث تفتقر إلى أسباب واقعية، وأيضا كحسن العدل وقبح الظلم، وحسن الصدق وقبح الكذب، وحسن الأمانة وقبح الخيانة، وغيرها من القضايا الفطرية التي تعتبر من مبادئ سائر الأدلة العلمية البرهانية في الحكمتين النظرية والعملية.

3. الاستدلال العقلي بتأليف هذه القضايا البديهية البيّنة مع بعضها البعض في صور قياسية واضحة، واستنتاج نتائج صحيحة، تصلح لأن تكون مقدمات لبراهين أخرى؛ لنستنبط منها نتائج أخرى تدخل في براهين أخرى، وهكذا تتوالد النتائج والبراهين، ويعلو صرح المعرفة الإنسانية على أساس واضح ومتين وموضوعي.

4. بناء الرؤية الكونية الواقعية عن الإنسان والعالم والمبدأ والمعاد، والتى ترسم للإنسان فلسفة الوجود والحياة في هذا العالم، وتجعل لحياته هدف ومعنى، وهي تمثل أصول الفكر الإنساني، وتعتبر من المعارف الضرورية والمصيرية للإنسان في هذه الحياة ومابعدها.

5. تشكيل الأيديولوجية العملية المنبعثة من الرؤية الكونية النظرية، والتى تؤسس لقانون السلوك الأخلاقي والنظام القيمي الاجتماعي والسياسي،

بحيث يسلك الإنسان على أساسه سلوكا منطقيا مستقيما وعادلا، يضمن له النجاح والاستقرار النفسي، وتتحقق على أساسه الحرية الحقيقية والعدالة الاجتماعية.

6. التعرف على الدين الإلهي الأصيل، ومذهبه الصحيح، وقراءته الواقعية السليمة، بعيدا عن الإفراط والتفريط، وذلك بانتخاب الدين والمذهب المطابق في مبادئه وأحكامه لأحكام العقل السليم، لاالذي ورثه الإنسان من آبائه وأجداده، أو اكتسبه من أعراف بيئته وعاداته وتقاليده، هذه الموروثات الاجتماعية التي غالبا ماتكون منشأً للتناحر المذهبي والصراع الطائفي، ومانعة من تحقق التعايش السلمي.

ومن هنا يتبين لنا أنّ العقل النظري هو المصباح الذي ينير لنا الطريق في دياجير ظلمة الأفكار الضالة، والقيم الفاسدة، والدليل الوحيد في بيداء الحيرة والضياع، والمنارة القائمة على شاطيء السلامة وبر الأمان لراكبي بحار الظنون والأوهام، وهو الذي يرسم لنا الهدف ويكشف لنا الطريق الطويل في هذه الحياة الدنيا ومابعدها.

ب. دور العقل العملي:

أما العقل العملي فهو الوزير الأول للعقل النظري، والمفوض من قبله لتدبير المملكة الإنسانية على أساس قوانين العقل النظري الواقعية

وتعاليم الشريعة الإلهية الأصيلة، المنسجمة مع الفطرة والطبيعة الإنسانية، ومكلف من قبله أيضا بالتصدي الحكيم والحاسم لأوهام القوة الخيالية والوهمية، وطغيان القوة الشهوية والغضبية، وفي النهاية تحقيق حالة الاعتدال والوسطية، بإعطاء كل قوة من قوى النفس حقوقها الطبيعية دون إفراط أو تفريط.

وسنستعرض هنا أهم الوظائف التي يضطلع بها العقل العملي، ودوره الحساس والخطير في توجيه دفة سفينة الإنسان وسط هذا البحر المتلاطم في هذا العالم:

أولاً ـ دوره في توجيه القوة الوهمية:

تسعى القوة الوهمية بحسب طبيعتها إلى إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالصور الحسية والخيالية، كالميل إلى هذا الموجود وحبه، أو الخوف من ذلك الموجود وبغضه، وكذلك أنحاء العلاقات المختلفة فيما بينها، ولا يمكنها إلا إدراك هذه المعاني الجزئية المحسوسة، ورفض ماسواها من المعاني العقلية المجردة، ولذلك فهي دائمة النظر إلى العالم المادي السفلي، ولاخبر عندها عن العالم الغيبي العلوي، وتمانع العقل النظري في التصديق بأي اعتقاد كلي مجرد عن المادة، أو حتى مجرد البحث عما وراء الطبيعة من عوالم الغيب، حيث تسعى دائما لتجسيم أي اعتقاد وربطه بالزمان والمكان والحركة.

كما تسعى دائما لتسخير القوى النزوعية الشوقية والإرادية لتحريك الإنسان نحو تسخير عالم الطبيعة بما ينسجم غالبا مع رغبات القوى الشهوية والغضبية؛ لتحقيق المصالح المادية للإنسان في هذه الحياة لاغير ويسعى العقل العملي في السيطرة على هذه القوة، وتوجيهها في خدمة الإنسان، وبحسب توجيهات العقل النظري، وبما لايتنافى مع المصالح الإنسانية العليا، وذلك على النحو التالي:

1. الاستفادة منها وبالاستعانة بالقوة المتخيلة في التجزئة والتركيب الهادف للصور الحسية والخيالية، وبمعونة القوة الشهوية الباعثة على تحصيل المنافع المادية، في تحقيق الاكتشافات العلمية الفيزيائية والرياضي ة والكيميائية، وتطوير شتى التقنيات الزراعية والصناعية بما يخدم المصلحة العامة للإنسان في هذه الحياة، وبما لايتنافى مع تحقيق العدالة الاجتماعية وقد استطاع الإنسان على مر التاريخ من تحقيق نهضة علمية صناعية كبيرة في مأكله ومشربه ومسكنه، ووسائل مواصلاته واتصالاته المختلفة، ببركة هذا التعاون الإيجابي بين العقل العملي والقوة الوهمية.

2. الاستفادة منها، وبالاستعانة بالقوة المتخيلة والغضبية، في دفع الأضرار المادية التي يمكن أن تهدد حياة الإنسان في هذا العالم،

ولكن بالطرق والوسائل العقلية والمشروعة، وقد تمكن الإنسان بفضل هذا الأمر من تأمين نفسه وتحصينها ضد الكثير من الحوادث الطبيعية التي كانت تعصف به في الماضي البعيد.

3. ردعها عن التدخل في شؤون العقل النظري الإدراكية، ومنعها من تحريف الأحكام العقلية البرهانية الواقعية، حيث تسعى القوى الوهمية دائما ـ وكما ذكرنا ـ إلى تجسيم كل الإدراكات العقلية وحصرها في بوتقة المادة والزمان والمكان، حيث ينبهها بأمثلة قريبة منها على أنّ الموجود أعم من المحسوس وغير المحسوس، وأنّ أحكامهما تختلف وتتباين في الكثير من الأحيان.

4. ردعها عن تسخير المتخيلة في أفعال عبثية خيالية لانفع من ورائها، أو في استدعاء صورخيالية قبيحة تلبية لرغبات القوى الشهوية والغضبية، والتى قد تصبح مباديء لأفعال قبيحة وغير مشروعة تتنافي مع القيم العقلية والإلهية، وذلك بتنبيهها على العواقب الوخيمة لمثل تلك التصرفات العبثية والمشينة، التي تتنافي مع الطبيعة الإنسانية.

ثانيا ـ دوره في توجيه القوة الشهوية والغضبية:

يدرك العقل العملي وبإرشاد من العقل النظري أهمية الوظائف الحيوية والضرورية التي تقوم بها هاتان القوتان الحيوانيتان في دفع

الإنسان نحو تأمين الحاجات الضرورية للبدن من الماء والغذاء واللباس والنكاح والمسكن، وفي دفع مختلف الأضرار المادية التي من الممكن أن تتوجه إلي جسمه، ولكنه يدرك في نفس الوقت أنهما لاتسعيان إلا لتأمين المنافع المادية والشخصية لصاحبها، دون المصالح المعنوية والعامة، حيث لاتأبه هاتان القوتان بهما، ولاتعيرهما أدنى اعتبار،إلا بما يعود منهما بالنفع المادي الخاص.

ومن أجل ذلك يسعى العقل العملي لتوجيه هاتين القوتين بالنحو التالي:

1. يوجه العقل العملي القوى الوهمية للتخطيط واستكشاف الأساليب والطرق العقلية والشرعية المناسبة لتلبية رغبات تلك القوتين، ويطلق العنان للقوى النزوعية والمحركة لتنفيذ هذه الأساليب التي تم استكشافها، والتصديق عليها من العقل العملي، من أجل تأمين الكمالات المادية الضرورية اللازمة للجسم.

2. يمتنع عن تلبية بعض الرغبات المادية الشخصية للقوة الشهوية والغضبية التي قد تؤدي إلى فقدان كمال موجود أهم، كتناول الأغذية اللذيذة الضارة بالصحة، وكشرب الخمر المؤدي إلى ذهاب العقل، أو الزنا المؤدي إلى ضياع المروءة والعفة، أو الجبن المؤدي إلى ضياع الشرف والدين.

وكذلك الرغبات التي قد تؤدي إلى المنع من تحصيل كمال أهم، كالاستغراق في جمع الأموال ليل نهار، المانع من تحصيل العلم والمعارف السامية، أو أي فعل يؤدى إلى إلحاق الضرر بالغيربأي نحو من الأنحاء كالسرقة والاحتيال والضرب والقتل وسائر أشكال الظلم.

ثالثا ـ دوره في استنباط المعارف الجزئية الأخلاقية من المعارف الكلية للعقل النظري أو التعاليم الشرعية الإلهية:

لقد سبق وأن أشرنا أنّ العقل النظري هو المدرك لسائر القضايا الكلية بنفسه والقضايا الجزئية بالاستعانة بالحس والخيال، أعم من أن تكون تلك القضايا نظرية متعلقة بما هو كائن أو عملية متعلقة بما ينبغي أن يكون عليه السلوك العملي ولكن إذا أردنا ان ندقق النظر أكثر، فالواقع أنّ العقل العملي الذي هو المبدأ الأول للفعل الاختياري، هو الذي يدرك القضايا العملية الجزئية من القضايا العملية الكلية التى يدركها العقل النظري، وذلك بتطبيقها على مصاديقها الخارجية؛ لأنّ العقل العملي بمجرد تصديقه بهذه القضايا العملية الجزئية، وأنّ فعلها كمال حقيقي للنفس الإنسانية، فإنه يكون باعثاً لتعلق الشوق والإرادة بهذا الفعل وإيجاده في الخارج فعلى سبيل المثال، العقل النظري يدرك بنفسه أنّ العدل حسن في نفسه، فعندما يدرك العقل العملي أنّ إعطاء

هذا الإنسان أجرة عمله، هو من حقه، فيدرك أنّ إعطاءه حقه هو من مصاديق العدل، وهو حسن ينبغي فعله، فيحرك الإنسان بتوسط الشوق والإرادة نحو إعطاء هذا الإنسان أجره أو عندما يدرك العقل النظري عن طريق الشرع المبين انّ الخمر حرام، وفيه مفسدة، فينبغي تركه، فعندما يدرك العقل العملي أنّ هذا الشراب خمر، فيحكم بوجوب اجتنابه، فيحرك الجسم بعيدا عنه...وهكذا يقوم العقل العملي بتحريك الإنسان على طبق القضايا العملية الجزئية المستنبطة من القضايا العملية الكلية المعقولة للعقل النظري مباشرة أو بتوسط الأحكام الشرعية المعلومة الصدور من الشريعة الإلهية الصحيحة، وهو من أشرف أدوار العقل العملي في حياة الإنسان.

الفصل الخامس
جنود العقل والجهل

بعد أن تعرفنا على الدور الهام والمصيري الذي يقوم به العقل بقوتيه النظرية والعملية في توجيه القوى الحيوانية وتهذيبها من أجل هداية الإنسان إلى طريق السلامة والسعادة، يتبين لنا مدى صعوبة وشدة الصراع القائم بين العقل وتلك القوى التي تسعى دائما إلى العمل على طبق مقتضاها الطبيعي وتحصيل كمالاتها الذاتية ورغباتها الشخصية بنحو مطلق، دون أي قيد أو شرط، ودون مراعاة أي مصالح أخرى لغيرها، سواء كان هذا الغير هو روح الإنسان وعقله الرشيد، أو كانت مصالح الناس الآخرين الذين يعيشون في نفس المجتمع البشري، بينما يسعى العقل لتأمين المصلحة الكلية للإنسان ببعديها المادي والمعنوي، وكذلك المصلحة العامة للمجتمع البشري وفي خضم هذا الصراع الداخلي الطويل والمعقد، الذي يبدأ بدخول الإنسان إلى ميدان عالم الطبيعة، ويشتد ضراوته مع بلوغه العقلي والحيواني، يسعى كل طرف إلى

استقطاب وإعداد ملكات نفسانية أخرى تعينه على التغلب على خصمه، والعمل على تسخيره من أجل التسلط على مملكة الإنسان.

هذه الملكات النفسانية الداعمة لكل طرف هي نفسها الملكات الأخلاقية المكتسبة بالسلوك الاختياري للإنسان والملكات الأخلاقية التي تقف تحت راية العقل وتنصره وتدافع عن حريمه، وتعينه على المقاومة والصمود هي الفضائل الأخلاقية، ونسميها تبعا لما جاء في الروايات الشريفة بجنود العقل، والتي تصطف تحت راية القوى الحيوانية وتدعمها لتحقيق رغباتها الشخصية المادية هي الرذائل الأخلاقية، ونسميها في المقابل بجنود الجهل والجهل هنا في مقابل العقل يعنى عدم العقل، وليس عدم العلم، وهو الجهالة والسفاهة، وقد سميت تللك القوى الحيوانية بالجهل ـ رغم أهميتها الحيوية للجسم ـ لعدم تعقلها الأمور واندفاعها الأعمى وراء تحقيق رغباتها بأي شكل ممكن دون مراعاة أي قيود أخلاقية عقلية أو شرعية، مما قد يستلزم إلحاق أضرار فادحة بمملكة الإنسان والمجتمع البشري.

ونحن في هذا الفصل نريد أن نبحث عن الطبيعة الذاتية لأمهات الفضائل الأخلاقية، التى هى من كبار جنود العقل، وكيفية اكتسابها؛ مع الإشارة إلى مايقابلها من جنود الجهل؛ ليتبين لنا بعد ذلك في الفصول

اللاحقة الدور الخطير الذي يلعبه هؤلاء الجنود في ترجيح دفة الصراع المصيري لصالح أحد المتصارعين، ومايترتب عليه من نتائج خطيرة في هذه الحياة الدنيا ومابعدها .... فنقول:

عرّف الحكماء الفضيلة بأنها هي الخلق المتوسط بين رذيلتين، وبالتالي تصبح الرذيلة هي الخلق الواقع على جانبي هذا الوسط، وهما جانبا الإفراط والتفريط والوسطية هنا لاتعني التوسط المادي المقداري كتوسط مركز الدائرة بالنسبة لمحيطها، أو التوسط بين عددين، كتوسط الثلاثة بين الاثنين والأربعة، بل تعني هنا الوسطية المعنوية، أي الاعتدال والاستقامة على الفطرة والطبيعة الإنسانية والانسجام معها، هذه الطبيعة التي لايكتشفها إلا المنهج العقلي الفطري القويم النابع من الطبيعة الإنسانية، والكاشف عنها، وعن مبدأها ومنتهاها، ومن هنا يتجلي معنى الإفراط والتفريط، حيث يصبح الإفراط دالاً على الانحراف عن هذه الحالة الوسطية في جانب الزيادة، والتفريط على الانحراف عنها في جانب النقص وقد أشار الحكماء إلى أمهات الفضائل الأخلاقية الثلاثة التي تمثل الحالة الوسطية لقوى النفس الرئيسية التي تمثل أطراف الصراع الداخلي التي هي العقل والقوة الشهوية والغضبية، ومايقابلها من أمهات

الرذائل الأخلاقية الست التي تمثل جانبي الإفراط والتفريط لكل واحدة من هذه القوى الثلاث.

ففضيلة العقل هي الحكمة، وهي وسط بين رذيلتي الجربزة والبلادة، وفضيلة القوة الشهوية هي العفة التي هي وسط بين الشره والخمود، وفضيلة القوة الغضبية هي الشجاعة التي هي وسط بين التهور والجبن وسنتعرض بشيء من الاختصار إلى بيان أمهات الملكات الأخلاقية الفاضلة، وكيفية اكتسابها بأفعالنا الاختيارية، ثم نشير بإيجاز إلى مايقابلها من الرذائل، ونرجع البحث التفصيلي عنها وعن فروعها المختلفة إلى كتب الأخلاق المطولة.

1. الحكمة:

- **تعريفها:** هي فضيلة العقل العملي، وتعني هنا حسن التدبير في السلوك العملي، ووضع الأشياء في مواضعها الطبيعية بحسب ماحكم به العقل النظري والشريعة الإلهية الغراء، وهذا يتطلب منّا التعرف على الحكمة العقلية أولا، ثم الحكمة الشرعية ثانيا:

أ. الحكمة العقلية:

إنّ قانون السلوك العقلي الكلي إنما يعتمد في تشخيص كمالات السلوك الإنساني التي تمثل مباديء الأفعال الاختيارية، على أساس رؤيته

الكونية عن حقيقة الإنسان والعالم والمبدأ والمعاد، وتتلخص هذه الرؤية العقلية في كون الإنسان مؤلف من جزء معنوي يمثل روحه وحقيقته الإنسانية، وجزء مادي هو بدنه الذي يمثل آلة استكمال الروح كما أسلفنا سابقاً.

وأنّ هذا الإنسان له مبدأ إلهي واحد حكيم خلقه في ضمن نظام الخير الأصلح، وتعلقت إرادته التكوينية باستكمال الإنسان في هذه الحياة الدنيوية بأفعاله الاختيارية، كما أنّ له معاد ورجوع إلى بارئه بعد الموت، ليرى نتيجة أعماله في الدنيا، حيث إنّ الجزاء سيكون من جنس العمل بناء على قانون العلية والسنخية، ليُثاب المحسن، ويُعاقب المسئ ومن هنا فسوف يعتمد السلوك العقلي في تدبيره لحياة الإنسان على إعطاء الإنسان حقه المعنوي والمادي بحسب ماتقتضيه الطبيعة الإنسانية المركبة من روح وبدن، مع تقديم الكمالات المعنوية على المادية عند التزاحم بينها، وسوف يتعامل مع الاخرين بنفس الأسلوب والمنطق، حيث إنه لافرق بين إنسان وإنسان في استحقاقه للاستكمال، وهذه هي العدالة الفردية والاجتماعية بحسب قانون العقل، وهذه الحكمة لايحصلها العقل إلا بالتصدي لطغيان القوى الوهمية الحيوانية، التي لاتدرك إلا الكمالات المادية والشخصية وإخضاعها لسلطان العقل

النظري والعملي وأمامايقابل هذه الحكمة العقلية في جانب الإفراط فهي الجربزة، وتعنى إعمال التفكير فيما لاطائل من ورائه كتوضيح الواضحات، وتعقيد البديهيات، وكثرة التشكيك والوسوسة التي تؤدي إلى القلق الفكري وعدم الاستقرار الذهني، وبالتالي ذهاب السكينة العقلية، وأمثال هؤلاء غالبا مايسعون إلى تشويش المنهج العقلي والتشكيك في كلام الحكماء، وفتح أبواب الشك والسفسطة، وغالبا مايشكلون الرموز الفكرية لمعسكر الشر أما مايقابلها في جانب التفريط فهي الغباء والبلادة، حيث يمثل الغباء سوء الفهم، وضعف التمييز، وعدم القدرة على التفكير الصحيح، وتمثل البلادة الكسل الذهني وعدم الرغبة في التفكير العميق، أو التجديد والإبداع، وقلة التأمل والتدبر، وضيق الأفق والنظرة السطحية، وسرعة الانقياد والاستجابة إلى كل ناعق، وأمثال هؤلاء من الأغبياء والبلداء غالبا ما يشكلون جنود معسكر الشر، بعد أن يصبحوا ألعوبة في أيدي الأشرار والانتهازيين.

ب ـ الحكمة الشرعية:

ونقصد بها هنا الأحكام التي جاء بها الشارع المقدس، والذي أثبت العقل صحته وقدسيته، لا الدين أو المذهب الذي يدعيه الناس بالشهرة والتقليد، فإنّ مثل هذا لااعتبار لأحكامه في شريعة العقل، بل الشرع

المقدس هو ماوافقت أصوله ومبادئه المباديء العقلية، وإن خالفت المشهور أو المقبول فالعقل يدرك من نفسه قصوره عن معرفة الأحكام العملية التفصيلية المحققة للعدالة الفردية والاجتماعية، ويدرك أيضا أنه لما تعلقت الإرادة التكوينية للباري تعالى باستكمال الإنسان بأفعاله الاختيارية، استلزم ذلك ضرورة تعلق إرادته التشريعية المتمثلة في أحكامه الشرعية وتعاليمه الأخلاقية، بنفس تلك الأفعال الاختيارية لإيصاله إلى الكمال المنشود الذي يستحقه كل إنسان في هذه الحياة، وذلك بمقتضى الحكمة والعناية الإلهية، مما يستلزم صدور هذه الأحكام على طبق المصالح والمفاسد الواقعية للإنسان، فالعمل على طبق هذه الأحكام والتعاليم الشرعية هو الحكمة الشرعية.

- **كيفية اكتسابها:**

ـ أما الحكمة العقلية فالطريق إلى اكتسابها، هو بتعلم العلوم العقلية النظرية والعملية؛ للتعرف أولا على المنهج العقلي وكيفية استعماله وتطبيقاته المختلفة، وكذلك بناء الرؤية الكونية الفلسفية عن الإنسان والعالم، والمبدأ والمعاد، والتعرف على المنظومة القيمية الأخلاقية والاجتماعية والسياسية، فيما ينبغي فعله أو تركه وينبغي التبكير بدارسة

هذه العلوم الشريفة قبل أن تستحكم المشهورات والمقبولات العرفية في الوجدان، وتستولي القوى الوهمية بوهمياتها على العقول والأذهان.

كما أنه من الضروري أن يسعى المتعلم إلى تدريب نفسه باستمرار على التأمل العميق في تفكيره، والتروي والتأني الدقيق في سلوكياته، وتطبيق المنهج العقلي في حياته، بحيث يطمئن بصدور كل فكرة أو فعل منه عن مبادئ عقلية، وليس عن مبادئ وهمية أو شهوية أو غضبية، حتى تصبح الحكمة ملكة أخلاقية راسخة في نفسه ـ وليست مجرد مفاهيم ومعارف ـ وبالتالي تصدر عنها الأفكار والأفعال الحكيمة بسهولة ويسر.

ـ وأما الحكمة الشرعية، فتكون بدراسة العلوم الشرعية الشريفة والمؤيدة من العقل، للتعرف على الأحكام والتعاليم الإلهية التفصيلية، ثم ممارسة العبادات الشرعية المختلفة، والالتزام بالواجبات واجتناب المحرمات من أجل التحقق بنور الإيمان المستلزم لصدور الأفعال الاختيارية على طبق الحكمة الشرعية وفي نهاية المطاف، فإن التحقق بفضيلة الحكمة، هو التحقق بأشرف الفضائل، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا.

2. العفة:

- **تعريفها:** هو التنزه عن الاستغراق في الشهوات المادية والرغبات الحيوانية المنافية للطبيعة الإنسانية العقلية، أو المستلزمة للوقوع في

المحرمات أو حتى المكروهات الشرعية، وسنشير أولا بشيء من التفصيل إلى العفة العقلية والشرعية، ثم إلى كيفية اكتسابهما.

أـ العفة العقلية:

ينظر العقل إلى ذاته بافتخار من حيث كونه من روح الباري تعالى باريء الخلائق أجمعين، ومن سنخ عالم التجرد والملكوت الذي هو أشرف العوالم، ولكن في نفس الوقت يرى أنّ ارتباطه بالبدن هو ارتباط عرضي ومؤقت، فرضته الضرورة الوجودية في عالم الطبيعة من حيث كون هذا الجسم آلة لاستكماله وخدمته، ويدرك جيداً أنّ قوى النفس الحيوانية المدركة أو المحركة، هي قوة ضرورية لحياة الإنسان في هذا العالم، ولذلك فهو يسعى دائماً لإعانتها سواء بالعلم أو بالحركة، ولكن بالمقدار الذي تحفظ به البدن، وتؤدي دورها الإيجابي في هذه الحياة الدنيا، وعلى رأس هذه القوي القوة الشهوية الباحثة دائما عن الكمالات المادية الشخصية، والتي لاتبالي بغيرها، ولذلك فهو يتصدى لطغيانها بحزم، ويتعالى عن الانصياع وراء رغباتها الحيوانية التي تنافي الطبيعة الإنسانية المترقية، أو التي قد تسبب أضراراً كبيرة للغير من إخوانه في الإنسانية، وهذه هي العفة العقلية التي يسعى العقل لتحقيقها من أجل تحقيق الكمال الإنساني، والمحافظة في نفس الوقت على تأمين الحاجات

الضرورية للإنسان أما مايقابلها في جانب الإفراط فهو الشره بمعنى الولع الشديد والانغماس الدائم في الشهوات المادية، والاستغراق في تحصيل الكمالات الحيوانية، المؤدي إلى الإعراض عن عالم المعنى، بل وإنكار عوالم الغيب والروح، والاستخفاف بالقيم العقلية والإلهية وأما مايقابلها في جانب التفريط فهو الخمود، والإعراض عن تحصيل الكمالات المادية الضرورية اللازمة للجسم البشري، الذي هو آلة استكمال الروح، كما يفعله الكثير من الرهبان والبوذية وجهلة الصوفية.

ب ـ العفة الشرعية:

وهي تعني التقوى في أحد جوانبها المهمة في لسان الشرع، وهي اجتناب الرغبات المادية المحرمة، والتي تميل اليها النفس وتهواها بغير حق، كالمال الحرام والزنا والربا وشرب الخمر والكذب والقتل والعدوان وغيرها....حيث إنّ هذه الذنوب والمعاصي الشرعية توقع في المفاسد الواقعية؛ لأنّ الشارع الحكيم ماحرّمها إلا لكونها كذلك فجلب النفع ينبغي أن يكون بالوسائل والطرق الشرعية التى بيّنها الشارع الحكيم؛ من أجل المحافظة على البدن دون إلحاق أضرار بروح الإنسان وعقله، أو بغيره من أبناء نوعه.

- **كيفية اكتساب العفة:**

ـ أما العفة العقلية فتكون بكبح العقل العملي لجماح الوهم والخيال عن استحضار الصور والمعاني الجزئية المتعلقة بالأمور الشهوية غير الضرورية أو الزائدة عن الحد، قبل أن تستحكم في الذهن، وتصبح بعد ذلك مباديء لأفعال شهوانية مفرطة تصدر عن النفس بسهولة ويسر، ويسمح فقط بورود هذه الصور إلى الذهن بنحو معتدل لتأمين الحاجات الضرورية للجسم من الطعام والشراب والنكاح وغيرها من الكمالات المادية اللازمة ومن الطبيعي أن يسعى العقل لإشغال الإنسان بالأفكار والمعاني الشريفة ومثالاتها من الصور الحسنة النبيلة، حتى يستأنس بها الإنسان ويعتاد أن يتعلق شوقه وإرادته بها، بديلا عن الصور الشهوانية والسخيفة.

كما يسعى العقل لتوجيه النفس أحيانا إلى مايضاد أو يخالف التوجهات النفسانية المادية المعتادة ليتمكن بعد ذلك من السيطرة على جموح القوة الشهوية بسهولة ويسر، حيث إنّ تكرار الفعل المضاد يقوي الإرادة في مقابل الفعل الاخر كما هو معلوم أما العفة الشرعية فتكون أولا بالإطلاع على الأحكام الشرعية والتعاليم الأخلاقية التي جاءت بها الشريعة الإلهية المترقية، ثم السعى التدريجي للالتزام بها، وتعويد النفس

على امتثال أوامرها واجتناب نواهيها بدرجاتها المختلفة، لاسيما فعل الواجبات وترك المحرمات التي تقوي الجانب الحيواني في الإنسان؛ من أجل تحصيل ملكة العدالة الشرعية المؤدية إلى الاستقامة والاعتدال السلوكي، المعبر عنه في لسان الشرع بالتقوى.

3. الشجاعة:

- **تعريفها**: هي القدرة على دفع الأخطار عن النفس وعن الغير بنحو لايتنافى مع القيم والمباديء العقلية والإلهية، وسنشير أيضا باختصار إلى الشجاعة العقلية والشرعية:

1. الشجاعة العقلية:

وتعنى السعي لدفع الأخطار المادية والمعنوية على حد سواء عن النفس والغير، وليس فقط التهديدات المادية الشخصية فالإنسان العاقل كما أنه معنى بالدفاع عن جسمه وسلامته الصحية، ودرأ الأخطار المادية عنه، من حيث كون الجسم آلة لاستكمال النفس الإنسانية، فهو معني أيضا بالدفاع عن القيم والمباديء المعنوية المتعلقة بروحه وبأرواح الآخرين، ولا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يكون دفاعه عن مصالحه المادية الشخصية على حساب مصالحه المعنوية أو مصالح الآخرين داخل

المجتمع، فالإنسان الشجاع الحقيقي هو الذي لايظلم الآخرين ولايقبل الظلم على نفسه.

2. الشجاعة الشرعية:

وتعني أيضا في حكم الشريعة الدفاع عن المال والنفس والعرض والدين، ولكن بالسبل المشروعة التي بينها الشارع الحكيم والشجاع الحقيقي في حكم الشريعة هو الذي يتغلب على نفسه ويقمع هواه، وهو الجهاد الأكبر، وهو أيضا الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وينصر المستضعفين، ويجاهد الطغاة والمستكبرين، وهو الجهاد الأصغر.

- **كيفية اكتساب الشجاعة:**

ـ اما الشجاعة العقلية فتكون بتعويد النفس أولا على الانصياع للأحكام العقلية النظرية، وعدم الاستسلام للأحكام الوهمية المخالفة لها منذ الصغر، حتى لاتعتاد النفس على الأنس بالوهميات وكذلك مقاومة الاعتقادات المخالفة للعقل النظري من المشهورات والمقبولات العرفية مهما كلف الأمر، والتجرد لطلب الحقيقة أينما وجدها، وأن يسعى لامتلاك الموضوعية والشجاعة الأدبية التي تجعله ينصف الناس من نفسه في أي بحث علمي أو اعتقادي كما علي العقل العملي أن يتصدى

بكل حسم للقوة الغضبية، بحيث لاتطغى أو تخرج عن حد الاعتدال، وألا يقدم حفظ مصالحه الشخصية على المصالح الإنسانية العليا.

ـ أما الشجاعة الشرعية فتتلخص في السعي التدريجي لمخالفة الأهواء المادية المنافية للقيم الدينية والشرعية، حتى قبل البلوغ الشرعي، وأن يلتزم في الدفاع عن نفسه أو غيره بالطرق الشرعية، وأن يكون دائما نصيرا للمؤمنين والمستضعفين، وألا يتخاذل في إعلاء راية الحق والدين، وأن يروض نفسه على أن يموت عزيزاً، ولا يحيا ذليلاً.

وإلى هنا نكون قد فرغنا من بيان أمهات الفضائل والرذائل الأخلاقية من جنود العقل والجهل، واللائي لهن أكبر الأثر في إدارة الصراع المصيري بين العقل والغرائز الحيوانية.

الفصل السادس
إدارة العقل للصراع الداخلى

بعد أن تبين لنا معنى الحق والباطل والخير والشر، والدور الإيجابي والسلبي لقوى النفس الحيوانية، وظهر لنا الدور المشرق للعقل بشقيه النظري والعملي في تحقيق الكرامة الإنسانية، وبعد بيان جنود العقل والجهل من أمهات الفضائل والرذائل الأخلاقية، واصطفافهم تحت راية طرفي الصراع، ينفتح الباب على مصراعيه لبيان استراتيجية العقل في إدارة الصراع الداخلي مع قوى النفس الحيوانية في هذا الفصل، حيث تُعد هذه الاستراتيجية أساسا ومنطلقا ضروريا، لإدارة الصراع الخارجي بين معسكري الخير والشر وسنشير في هذا الفصل إلى المعالم الرئيسية لهذه الاستراتيجية الحكيمة للعقل في إدراة الصراع الداخلي مع القوى الحيوانية المختلفة، من أجل تحقيق العدالة الإنسانية والسعادة الحقيقية في مملكة الإنسان وتتألف هذه الاستراتيجية من خمسة أركان هي

التخطيط والتنظيم والمراقبة والمحاسبة والتقييم، وسنتعرض لكل ركن على حده، لتتبلور لنا في النهاية الصورة العامة لتلك الاستراتيجية:

أولا ـ التخطيط: ونعني به تعيين الهدف النهائي أولا، ثم وضع السياسات الكلية الموصلة إليه ثانيا، ثم تعيين الأهداف المرحلية ووضع السياسات الجزئية الموصلة لها، وفي النهاية وضع البرامج العملية التي فصيلية المحققة لهذه السياسات الجزئية، والتي تصب في النهاية في صالح تحقيق تلك السياسات الكلية المحصلة للهدف النهائي.

1. الهدف الكلي النهائي:

لايخفى على أحد بأن تعيين الهدف النهائي من الحياة يقف على رأس المهمات الرئيسية والاستراتيجية التي تقع على عاتق كل إنسان عاقل، وتعين مصير الإنسان في هذه الحياة ومابعدها، حيث إنها ترسم سلوك الإنسان ونمط حياته في هذا العالم والهدف المشترك الذي ينشده كل إنسان في هذه الحياة ومابعدها، هو السعادة، هذه السعادة التي يطلبها كل إنسان بطبيعته طلبا حثيثاً في كل حركاته وسكناته في الليل والنهار ولكن دور العقل هنا يبرز في تعيين السعادة الحقيقية والدائمة، وتمييزها عن السعادة الوقتية الزائلة، حيث إنه لايبحث عن مطلق السعادة أنّى كانت، وكيف كانت، بل يبحث عن السعادة المنسجمة مع طبيعة الإنسان

ككل ببعديه المادي والمعنوي، مع تقديم السعادة المعنوية الباقية على السعادة المادية الزائلة، كما أنه لايبحث فقط عن سعادة الإنسان الشخصية، بل يتعداها للبحث عن سعادة الناس والمجتمع البشري وكما سبق وأن أشرنا فإنّ العقل بمنهجه العقلي القويم هو وحده القادر علي اكتشاف الرؤية الكونية الواقعية عن الإنسان ومبدأه ومنتهاه، وبالتالي هو القادر على معرفة الكمالات التي تنسجم مع واقعه، وتحقق له السعادة الحقيقية وهذا على خلاف من يعتمد على قواه الوهمية ومشاعره الحسية المنبعثة من غرائزه الحيوانية بنظرتها المادية الجزئية الضيقة، أو على الأعراف والموروثات الاجتماعية بنظرتها السطحية النسبية المتغيرة في تعيين أهدافه في الحياة، وكمالاته المحصلة لها، حيث سيرسوا اختياره إما على تحقيق الأهداف المادية الشخصية لاغير، أو على أهداف عامة وهمية غير واقعية، مما سيكون له أكبر الأثر السلبي على نفسه وعلى المجتمع البشري الذي يعيش فيه، حيث سيكون ذلك منشأً للضلالة والشقاوة والصراع الداخلي والخارجي بعد ذلك والكمال الذي يحقق الهدف النهائي الذي هو السعادة الحقيقيةالدائمية، والذي يختاره العقل في هذه الحياة ـ كما أثبت ذلك الحكماء ـ هو على المستوى النظري ينحصر في تحصيل النفس الإنسانية أكبر قدر ممكن من العلوم والمعارف الواقعية

الصحيحة النظرية والعملية عما هو كائن عن الإنسان والعالم، وما ينبغي أن يكون من الأفعال على المستوى الفردي والاجتماعي والسياسي، مجردا عن الشكوك والظنون والأوهام، وهو المعبر عنه بالحكمة النظرية والعملية، وحيث يُعد هذا أقصى كمال ممكن للعقل النظري، ويُعتبر ذك نبراسا منيراً على الطريق لهداية الإنسان في ظلمات الحياة أما على المستوى العملي فهو في تحصيل ملكة العدالة الإنسانية بالسيطرة والتحكم التام في القوى الحيوانية الحافظة لجسم الإنسان، وذلك بتحصيل أركانها الثلاثة من الحكمة والعفة والشجاعة، حيث ستشكل هذه الحالة من الاعتدال صمام الأمان لراحة البال والاستقرار النفسي والسلم الاجتماعي.

2. السياسات الكلية:

وهي الاستراتيجيات والمسارات العامة التي تحقق الكمالات الكلية النظرية والعملية داخل مملكة الإنسان، والتي توصل في مجموعها إلى الهدف النهائي الذي هو السعادة الحقيقية.

- **تشخيص المنهج المعرفي الصادق والمناهج المغايرة له:**

لاشك أنّ البحث عن المنهج المعرفي الصادق، والميزان العلمي الذي نتعرف من خلاله على الأشياء بنحو واقعي، ونميز به بين الحق والباطل في الأقوال والخير والشر في الأفعال، هو أول وأهم خطوة منطقية ينبغي

اتخاذها من جانب العقل في بداية شروعه في رسم خطة العمل الاستراتيجي لإدارة الصراع الداخلي؛ حيث إنها تمثل اللبنة الأولى لهذا البناء الاسترتيجي الشامخ ونحن قد سبق وأن بينّا في بحوثنا السابقة أن المنهج العقلي البرهاني الرصين المبتني على المباديء البديهية الواضحة والصادقة بالذات، هو الميزان المعرفي الوحيد الذي يضمن لنا العلم اليقيني الموضوعي الصادق والمطلق عن الأشياء في الواقع، وأنّ ماعداه من المناهج المعرفية المبتنية على مباديء حسية جزئية أو نقلية ظنية أو مشهورة عرفية، فهي وإن كانت لها أهميتها واعتباراتها المعرفية في مواردها الخاصة تحت حكومة العقل وإشرافه، إلا أنها لاتصلح لأن تكون هي الأساس والمنطلق كما هو واضح، حيث إنّ الأحكام الحسية بمفردها أحكام جزئية لاتفيد قانوناً كلياً، والأحكام الكلية النقلية أو العرفية ظنية، بالإضافة إلى كونها نسبية متغيرة، وبالتالي لاتتمتع بالحجية الذاتية، بل تفتقر إلى العقل البرهاني ليميز بين صحيحها وسقيمها، وخيرها وشرها ومما تقدم يتبين لنا أن تشخيص المنهج المعرفي الصحيح وبيان أحكامه العلمية وحدوده المعرفية، وعلاقاته مع سائر المناهج الأخرى بنحو تفصيلي، هي أهم السياسات الكلية الضرورية التى يضعها العقل نصب عينيه.

- **بناء الرؤية الكونية الواقعية عن الإنسان والعالم، وتشخيص أصناف الرؤى الانحرافية:**

إنّ الخطوة الثانية التي يدرك العقل أنّه ينبغي عليه أن يخطوها بعد تشخيص المنهج المعرفي هو الانطلاق من خلال هذا المنهج إلى أرض الواقع وحريم الوجود؛ لاستكشاف حقيقة الإنسان نفسه أولا بنحو كلي ثابت، ثم حقائق الأشياء من حوله من كل الجهات الممكنة كذلك.

وهذه هي الرؤية الكونية الفلسفية التي يُعد بناؤها هو السياسة الكلية الثانية، والتي تمثل في الواقع أصل الفكر الإنساني وأساسه، والتي يبتني عليها النظام القيمي عند الإنسان ويترتب عليه سلوكه؛ لأنّ الذي لايعرف نفسه من هو، ولاالعالم من حوله، كيف يمكن له يعلم ماينبغي فعله أو تركه؟!

ولاينبغي أن يُتوهم أنّ هذه الرؤية الكونية متعلقة فقط بالفلاسفة والحكماء، بل هي حاصلة لكل إنسان وتؤثر على قيمه ومبادئه ونمط سلوكه في الحياة، سواء بنحو شعوري أو لاشعوري، وإلا فلايُعقل أن يكون هناك إنسان لايعرف أي شيء عن نفسه أو عن العالم الذي يعيش فيه، وليس لديه أي رؤية عن الحياة قلت أو كثرت ولكن يكمن الفرق في أنّ الحكماء يبنون رؤيتهم الكونية على أساس المنهج

العقلي البرهاني الواقعي، وغيرهم من الناس يبنون رؤيتهم على أساس المشاعر والأحاسيس الداخلية، أو المشهورات العرفية والمقبولات المذهبية الدينية أوالوضعية.

ولايخفى على أي إنسان عاقل أنّ تحصيل الكمالات الموجبة للسعادة الحقيقية في هذا العالم، لايمكن أن تمر إلا من خلال الرؤية الكونية الواقعية عن الإنسان والعالم، حيث لايمكن للرؤى الوهمية أن تحقق السعادة الحقيقية؛ لأنّ فاقد الشيء لايعطيه فالذي يتعرف على نفسه والعالم من حوله من خلال أحاسيسه ومشاعره، فلن يعرف من الحياة إلا ظاهرها ولن يدرك من نفسه إلاالجانب المادي الجسماني، وبالتالي فلن ينصت حينها إلا لصوت غرائزه الحيوانية، ولن يصغي إلا لرغباته المادية، والتي ستقوده في النهاية إلى الهاوية والشقاء والذي يبنى رؤيته الكونية على أساس المشهورات العرفية أو المقبولات المذهبية أو الوضعية، فمن أين له أن يعرف صحة هذه المباديء التي يريد أن يشيّد بنيان منظومته الفكرية ونظرته إلى الحياة على أساسها، وهل هذا إلا نوع من الانتحار الفكري، حيث لاتتمتع مثل هذه المباديء بالحجية الذاتية أو الاعتبار العلمي الموضوعي، الذي يسوغ لنا التسليم بها بنفسها، والبناء عليها.

ومما تقدم يتبين لنا أهمية هذه السياسة الثانية وكيفية تحصيلها بالطرق المشروعة والآمنة.

- **تشخيص الكمالات المناسبة وأساليب تحصيلها، ومعوقاتها ومضاداتها:**

إنّ العلةِ القريبة لتحقيق السعادة هي الكمال الذي يراه الإنسان مناسباً لذاته، وهو نفسه الخير الذي يرغب فيه كل إنسان، ويسعى لتحصيله، والشر هو كل مايعوق الإنسان ويمنعه عن تحصيل الخير المطلوب، أو يؤدي إلى فقدان الخير الموجود.

فحب الخير والكمال من الغرائز الفطرية عند كل إنسان، وكما يقول بارئه تعالى: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾[1].

ولكن المشكلة تكمن في تشخيص هذا الكمال المناسب للإنسان؛ لأنّه ليس كل مايراه الإنسان كمالاً مناسباً له، فهو كذلك في الواقع، وليس كل مايلتذ به الإنسان، أو يميل إليه فهو خير نافع له في الواقع، وعلى الجانب الآخر ليس كل مالايميل إليه الإنسان ولايراه كمالاً، أو يحسبه شراً له، فهو كذلك في الواقع وقد أشار الباري تعالى لهذه المسألة المهمة والخطيرة بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ

---

(1) العاديات: 8.

فيه كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

وأكثر الناس يدركون ذلك بأنفسهم بممارساتهم العملية، حيث يتبين لهم في كثير من الأحيان خلاف ماكانوا يظنون، مما يدفعهم إلى الحسرة والندامة ومن هنا يتبين لنا خطورة هذا الأمر، حيث أنّ الخطأ هنا غير مسموح به؛ لأنه قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى عواقب وخيمة يصعب تداركها، وقد تهدد مصير الإنسان في هذه الحياة الدنيا ومابعدها ولذلك وجب على العقل أن يتدخل بكامل قدرته النظرية والعملية للتمييز بين الكمالات الحقيقية والوهمية، وبيان الطرق المناسبة والمتاحة أمام الإنسان لتحصيل الأولى دون الثانية وتشخيص العقل السليم للكمالات الحقيقية لايكون على أساس عشوائي أو تبعاً للأهواء والميولات النفسانية، أو الأعراف الاجتماعية، كما يفعل غير العقلاء من عامة الناس، بل على أساس معاييرعلمية موضوعية، نابعة من منهجه القويم، ورؤيته الواقعية .... ويمكننا الإشارة هنا إلى بعض هذه المعايير العقلية:

---

(1) البقرة: 216.

ـ أن يكون في صالح الإنسان ككل ببعديه المعنوي والمادي، كالكمالات المعنوية السامية، أو الكمالات المادية الضرورية لجسم الإنسان كآلة لاستكمال روحه ونفسه.

ـ ألا يتسبب في فقدان كمال أهم منه سواء كان كمالاًمادياً، كالطعام اللذيذ الضار بالصحة الجسمية، أو معنوياً كالطعام أو الشراب الحرام شرعاً الضار بالصحة المعنوية.

ـ ألا يتسبب في منع تحصيل كمال أهم منه، سواء كان كمالاً مادياً، كالراحة والكسل المانعة من تحصيل القوة والصحة الجسمية، أو معنوياً كالاستغراق في تحصيل المال، أو الإفراط في اللهو واللعب المانع من تحصيل العلم والمعرفة الصحيحة.

ـ ألا يتسبب في فقدان الآخرين كمالاتهم المشروعة أيضاً، سواء كانت مادية، كتحصيل المال بالسرقة والاحتيال، أو معنوية، كتقييد حرياتهم أو الاعتداء على أعراضهم، أو تشويه سمعتهم، أو سلب أرواحهم.

ـ ألا يتسبب في منع الآخرين من تحصيل كمالاتهم المشروعة، سواء كانت مادية كقطع أرزاقهم، أو معنوية كتضليلهم أو إلهائهم عن طلب العلم والمعارف الصحيحة وبناء عليه، فالإنسان العاقل قد يمنع نفسه من تحصيل بعض الكمالات المادية إن أضرت بجسمه أو روحه، وقد

يضحي ببعض الكمالات الموجودة من أجل تحصيل أو منع فقدان كمالات أهم، كأن يضحي بماله من أجل صحته الجسمية، أو من أجل تحصيل ملكة الجود والكرم، أو من أجل حفظ شرفه وكرامته، وقد يضحي بماله ونفسه من أجل الدفاع عن دينه وعزته والعقل السليم يأخذ كل هذه المعايير في الاعتبار على أساس معرفته الكونية الواقعية بطبيعة الإنسان والأشياء من حوله، سواء في تشخيص الكمال الحقيقي من الوهمي، أو في تشخيص الأهم من الكمالات الحقيقية، وتقديمها على غيرها .... وهذه هي السياسة الكلية الثالثة التي يسعى العقل لتحصيلها وصولاً إلى الهدف الأسنى، وهي السعادة الحقيقية.

- **الدخول في الصراع العملي مع قوى النفس الحيوانية على أساس الخطة المرسومة لتحصيل ملكة العدالة:**

إنّ العقل يدرك جيداً أنّه بعد تشخيص المنهج المعرفي الصحيح، والرؤية الكونية الواقعية، وتعيين الكمالات الواقعية بمراتبها المختلفة، أنّه يتعين عليه بعد ذلك وضع خطة عملية للدخول في ميدان الصراع الفعلي مع قوى النفس الحيوانية بهدف ترويضها وإخضاعها لحكومته وتحقيق الحرية الحقيقية والعدالة الإنسانية في مملكته الخاصة والعقل يعلم من نفسه أنه بدون دخول هذه المعركة، وتحقيق الانتصار علي هذه القوى

الحيوانية، فسوف يذهب كل شيء أدراج الرياح، حيث إنّ هذا الصراع صراع وجود، إما أن يكون الإنسان أو لا يكون؛ لأنّ هذه القوى الحيوانية لاتعرف المهادنة أو المصالحة، ولا يمكنها أن تقبل بأقل من هزيمة العقل والسيطرة الكاملة على النفس الإنسانية، وإخضاعها لرغباتها الحيوانية المادية، فالعقل ليس أمامه إلا المقاومة والصمود ليكون أميرا، أو التخاذل والاستسلام ليكون أسيرا وتتلخص هذه الخطة الحكيمة في بيان الخطوات التوجيهية العامة لترشيد عمل القوى الحيوانية المدركة والمحركة، بما يخدم المصلحة العليا للإنسان ككل والمجتمع البشري، وكذلك سبل التصدي الحاسم لطغيانها وتدخلاتها السافرة وغير المعقولة المخالفة للعقل والشرع الحكيم، والذي من الممكن أن تلحق أفدح الخسائر لمملكة الإنسان الداخلية والخارجية وقد استقصينا هذه الخطة بنحو من التفصيل في الفصل الرابع، فلتراجع هناك وإلى هنا نكون قد فرغنا من بيان تعيين الهدف النهائي وكيفية رسم العقل للسياسات الكلية الاستراتيجية، وننتقل إلى بيان الأهداف المرحلية للخطة.

3. الأهداف المرحلية

المقصود من الأهداف المرحلية هي الغايات التي تبتغي في مجموعها تحقيق السياسات الكلية المحققة للهدف النهائي، وتتضمن الأهداف التالية:

- **معرفة قانون التفكير**: وهو الهدف المرحلي الأول الذي ينبغي تحقيقه، حيث يمثل هذا القانون الأساس الأول للتفكير الصحيح، وميزان الصحة العقلية، والذي يُعد الانحراف عنه مظهراً للأمراض الفكرية، وأساساً للعشوائية المعرفية التي تقود الإنسان إلى الضلال لا محالة.
- **تشكيل المنظومة المعرفية المنسجمة**: والمقصود منها مجموع تلك الأدوات المعرفية من الحس والتجربة والعقل والنقل والقلب التي تمثل القنوات المعرفية التي نطل من خلالها على أنفسنا وعلى الواقع المحيط بنا، حيث ينبغي الاستفادة منها جميعا في استكشاف الواقع، بعد وضع كل واحد منها في موضعه الطبيعي بعيدا عن الإقصاء أوالتهميش لأحد منها، وبمنأى عن إيجاد أي نحو من التضاد أو التصارع بينها، بل بنحو منسجم تحت إشراف وحكومة العقل الرشيدة.
- **معرفة النفس وآفاتها**: لاشك أنّ النفس هي ميدان الصراع، والتعرف علي طبيعتها وعلى قواها ووظائفها المختلفة، هو من الأهداف الضرورية للتعرف على معالم الصراع الداخلي، والقوى المتصارعة فيما بينها، ومنطلقاتها المختلفة، من أجل التمكن من وضع الخطة المناسبة والواقعية لإدارة هذا الصراع بنجاح.

- **معرفة العالم الخارجي بخيره وشره:** بمعنى التعرف على مايحيط بالإنسان من الأشياء المتعددة، وهذا وإن كان للوهلة الأولى يتعلق بإدارة الصراع الخارجي دون الداخلي الذي نحن بصدده، إلا أنّ له مدخلية بإدارة الصراع الداخلي أيضا، حيث إنّ الإنسان يعيش ويتحرك في هذا العالم، وتتعلق نفسه به، ومضطر أن يتعامل معه من أجل جلب النفع ودفع الضرر عن نفسه، ومن هنا تكمن أهمية التعرف على هذا العالم الخارجي، فهو كما يؤثر فيه يتأثر به.
- **معرفة المبدأ والمعاد وارتباطهما بمصير الإنسان:** من الواضح أنّ التعرف على مبدأ الإنسان ومنتهاه، من الأمور التي تؤثر مباشرة على طبيعة الصراع ومساره، حيث يتعرف الإنسان على الغاية من خلقه ووجوده في هذه الحياة، مما ينعكس بالضرورة على نحو سلوكه في هذا العالم، وكيفية تعامله مع نفسه ومع ربه ومع غيره، بما ينفعه في دنياه وآخرته.
- **معرفة قانون السلوك الإنساني الفردي والاجتماعي والسياسي:** لاشك أنّ التعرف على هذا القانون الطبيعي الذي ينسجم مع طبيعة الإنسان والمجتمع، لهو من أهم الأهداف التي ينبغي تحصيلها؛ حيث إنّه بدون معرفة هذا القانون لايمكن أن يتحقق الانسجام الواقعي بين

الإنسان ونفسه، أوبينه وبين الاخرين داخل المجتمع الإنساني، وبالتالي لا يمكن تحصيل الكمال المناسب والسعادة الحقيقية.

- **التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل:** بعد أن بينّا أنّ الفضائل هي من جنود العقل الموالية له، وأنّ الرذائل من جنود الجهل الداعمة للقوى الحيوانية، فلاشك أنّ السعي لتحصيل الأولى واجتناب الثانية من المهمات الضرورية للعقل للانتصار في هذه المعركة المصيرية.

4. السياسات المرحلية:

السياسات المرحلية هي المسارات التي تحقق الأهداف المرحلية، وهي تتلخص هنا في السياسة التعليمية والسياسة التربوية:

- **السياسة التعليمية:** وهى من أجل تقوية العقل النظري، وتعني التزام المنهج التعليمي الصحيح والتدريجي لمعرفة واقع الأشياء كما هو عليه، سواء مايتعلق منها بالمنهج المعرفي أو بالرؤية الكونية، أو بالمنظومة القيمية الأخلاقية والاجتماعية والسياسية.

ووضع هذا المنهج التعليمي بمواده الدراسية، ومراحله التعليمية، إنما يكون على عهدة العقل البرهاني الحكيم، الذي يأخذ بالاعتبار مراتب العلوم بحسب موضوعاتها وأغراضها، وارتباطها مع بعضها البعض في السلم التعليمي وهذه السياسة التعليمية للأسف غير مأخوذ بها لا في

مدارسنا وجامعاتنا الأكاديمية، ولا في مدارسنا ومعاهدنا الدينية، حيث يسيطر الاتجاه الحسي التجريبي على الأول، والاتجاه النقلي السطحى على الثاني في الغالب، مما يضعف كثيراًالعقل النظري ويحد من قدراته علي النجاح في إدارة الصراع الداخلي مع القوى الحيوانية.

- **السياسة التربوية:** وتهدف إلى تقوية العقل العملي، وتعني التزام المنهج التربوي الصحيح والتدريجي لاكتساب الفضائل واجتناب الرذائل

وتتضمن هذه السياسة اعتماد الطرق والأساليب التربوية المختلفة من الوعظ والإرشاد والعبادات الشرعية والفنون المهارات المتنوعة، والدخول في الرياضات العقلية والشرعية؛ لشحذ الهمم وتقوية الإرادة، وتعويدها الخضوع لأوامر العقل السليم والشرع الصحيح، وعدم انقيادها لرغبات القوى الحيوانية، وأيضاً السعي لتجريد النفس عن العلائق المادية بنحو تدريجي تصاعدي بما يتناسب مع العقل والشرع المبين وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ المنهج التربوي العقلي، وإن اتفق من بعض الجهات مع المنهج التربوي الصوفي في تجريد النفس وتقوية الإرادة، إلا أنّه يباينه من جهات أخرى نتيجة الاختلاف في المنهج والغاية، أما المنهج فمن حيث التزام المنهج التربوي العقلي بالأحكام والقوانين العقلية والشرعية بعيداً عن الإفراط أو التفريط، مع مراعاة الاعتدال في كل

شيء، بينما يعرض المنهج الصوفي في كثير من الأحيان بعض الشطحات والانحرافات السلوكية وأما من ناحية الغاية فغاية المنهج التربوي العقلي هى حصول ملكة العدالة عند الإنسان، وهي الهيئة الاستعلائية للنفس على قواها الحيوانية، وإخضاعها للعقل والشرع الصحيح، في حين أن المنهج الصوفي في حقيقته يهدف إلى تعطيل العقل وتحطيم القوى الحيوانية، والتجرد التام، والفناء في الحضرة الإلهية المقدسة كما يدعي، فهو في الواقع يتخلص من أصل الصراع بالتخلص من الطرفين المتصارعين، وليس هذا في الواقع بإدارة للصراع، بل هروب من المواجهة، وتخلي عن المسؤولية، مما ينعكس سلبا على الصراع الخارجي كما سنبين في المستقبل إن شاء الله تعالى.

5. **البرامج التفصيلية:**

وهي البرامج العملية الهادفة إلى تحقيق السياسات المرحلية المحصلة للأهداف الجزئية، والتي تصب في النهاية في صالح تحقيق الهدف النهائي المنشود وتجدر الإشارة إلى أنّه ينبغي مراعاة التسلسل الترتيبي الزماني بين البرامج المتعلقة بالجانب التعليمي منها، على أن يسير هذا البرنامج التعليمي بمجمله بموازاة الجانب التربوي السلوكي بنحو تدريجي تصاعدي، حيث يساعد كل جانب منهما الجانب الاخر على

التقدم والتطور، وسنشير إلى هذه البرامج التفصيلية بنحو مختصر يمهد الطريق أمام اللبيب للبحث التفصيلي عنها في مواضع أخرى:

- **البحث عن الأستاذ والمرشد الحكيم المتخصص:** وهذه هي الخطوة الأولى الطبيعية التي يكتشفها العقل انطلاقاً من مبادئه البديهية الأولية الذاتية، حيث يدرك الحاجة الماسة للتعليم والتربية العقليين، وأنّ هذا متعسر ـ إن لم يكن متعذر ـ بدون الأستاذ المرشد الحكيم المتخصص وليس الهدف من البحث عن الأستاذ هو اتباعه وتقليده، بل الاستفاده من فيض علمه، والاستضاءة من نور حكمته العقلية، والاسترشاد من خبراته ونصائحه وتوجيهاته فعقل الإنسان يبحث عن من يسير معه، ويستكشف معه الأشياء، ويبدأ معه من نقطة الصفر، لا أن يمشي وراءه ليقوم بتحميل وفرض آراءه عليه والخطأ في تشخيص الأستاذ الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها، هو من أهم أسباب الفشل في إدراة هذا الصراع الداخلي، والوقوع في الانحراف الفكري والسلوكي، لذلك فإنّ للعقل معاييره الأولية لتشخيص هذا الأستاذ الذي سيتعلم على يديه أصول التعليم والتربية العقلية، وأن يتأنّى كثيراً في تشخيصه واختياره، وأن يكون عقله دائما يقظاً في سفره

العلمي والمعرفي معه، فإنَّ معرفة مثل هذا المرشد يُعد من مفاتيح الانتصار في هذا الصراع الداخلي.

- **البحث عن الرفيق العاقل واجتناب رفقاء السوء**: لاشك أنّ الرفيق قبل الطريق، فالعقل يدرك أنَّ طريق الصراع طويل وشائك، وهو كما أنَّه في حاجة إلى معلم مرشد، فهو في حاجة أيضاً إلى رفيق عاقل يأنس به، ويعينه على نفسه، ويقف بجانبه، ويذكره الصواب، ويأخذ بيديه عند عثرته فالبحث عن الرفيق العاقل هو من الخطوات المهمة التي ينبغي اتخاذها في إدارة الصراع، فهو كالمرشد في كونهما من جنود العقل والخير وعليه أن يسعى دائما لاجتناب مرافقة أصدقاء السوء الذين هم في الواقع قطاع الطريق، وأعوان الشيطان وجنود الجهل، فالعزلة خير من مرافقتهم.

- **دراسة المنطق**: وهو أساس العلم وخادم العلوم، وفيه يتعلم الإنسان قواعد التفكير الصحيح، وقانون الفكر الذي تبتني عليه سائر العلوم والمعارف، ويقع في المرتبة الأولى بين العلوم.

- **دراسة علم مناهج التفكير**: ويبحث عن أدوات المعرفة المختلفة من حيث صلاحيتها العلمية لكشف الواقع وحدودها المعرفية، من أجل تشكيل المنظومة المعرفية المنسجمة مع بعضها البعض، ويقع في المرتبة الثانية.

- **دراسة أصول الهندسة**: والمقصود منها هنا هندسة أقليدس حيث تُعد من الناحية العلمية، أفضل مجال لتطبيق القواعد المنطقية البرهانية؛ لوضوح وسهولة مسائلها وقرب موضوعاتها من الحس، فتُنمّي لدى الإنسان قدراته الاستدلالية، هذا بالإضافة إلى كونها تعلم الإنسان البحث العلمي الموضوعي بعيدا عن الأوهام والأميال النفسية والضغوط المذهبية؛ نظرا لبعد موضوعاتها عن كل هذه الأمور، وهي نكتة تربوية مهمة لطالب الحقيقة، وتقع في المرتبة الثالثة.
- **دراسة كليات الطبيعيات**: الباحثة عن أحكام الجسم الطبيعي من حيث السكون والحركة، وهي تُقوّى الجانب الاستدلالي للإنسان أيضا لقرب موضوعها من الحس، حيث إن الجسم محسوس بظاهرة ومعقول بباطنة، فتمثل مرحلة انتقالية تدريجية لدراسة الفلسفة بعدها، كما أنها تربي الإنسان أيضا على البحث الموضوعي كالهندسة من حيث بُعد موضوعها عن المباحث الدينية والمذهبية التي يمكن أن تؤثر على ذهن الإنسان في بداية طريقه، وتقع في المرتبة الرابعة.
- **دراسة الفلسفة**: الباحثة عن أحكام الموجودات وعللها بنحو كلي عام، ومن خلالها يبني الإنسان رؤيته الكونية عن الإنسان والعالم والمبدأ والمعاد، بعد أن يصبح ذهنه قويا ومرتاضاُ بالممارسات السابقة، وبعد أن

يكون قد اعتاد على أسلوب البحث العلمي الموضوعي، فيبني اعتقاداته وآراءه بذهنية المهندس التي لاتقبل الخطأ غالبا وتقع الفلسفة في المرتبة الخامسة بعد علم الطبيعة، ولذلك سميت بعلم مابعد الطبيعة.

- **دراسة الأخلاق الفردية والاجتماعية**: بعد الفراغ من البحث الفلسفي ينتهي البحث في الحكمة النظرية، ويبدأ البحث في الحكمة العملية بالبحث الأخلاقي، بناء على الرؤية الكونية النظرية، للتعرف على قانون السلوك الفردي والاجتماعي بنحو موضوعي واقعي.
- **دراسة النظام السياسي الفاضل ومضاداته**: وفي ختام الحكمة العملية ينتقل الباحث لدارسة النظام السياسي الفلسفي على أساس المنهج العقلي البرهاني، ليتعرف على أركان المدينة الفاضلة ورئيسها، والأنظمة المضادة لها.

وبانتهاء البحث الفلسفي ينتهي البرنامج التعليمي التفصيلي، ليتحلي بعدها الإنسان بالحكمتين النظرية والعملية، واللتان يكشفان الطريق أمام العقل في صراعه الداخلي، ولا يتبقى بعد هذا البرنامج التعليمي إلا البحث عن البرنامج التربوي السلوكي.

- **السير والسلوك العملي التجريدي**: وقد أشار الكثير من الحكماء في كتبهم الأخلاقية[1] إلى تفاصيل هذا البرنامج، بالإضافة إلى ماجاءت به النصوص الدينية المقدسة في أحكامها الشرعية وتعاليمها الأخلاقية السامية، حيث يحث جميعها الإنسان العاقل إلى التزام برنامج سلوكي يومي مع دوام المراقبة والمحاسبة من أجل تنمية الملكات الفاضلة، وتقوية الإرداة العقلية، وإضعاف التعلقات النفسية للإنسان مع الأمور المادية

وإلى هنا نكون قد انتهينا من بيان خطة العقل الاستراتيجية في إدراة الصراع الداخلي، وننتقل بعدها إلى بقية أركان هذه الاستراتيجية.

ثانيا ـ التنظيم:

ويشمل توزيع الأدوار والمسؤوليات اللازمة لتأدية الوظائف المطلوبة لإدارة مملكة الإنسان على النحو الطبيعي المانع من وقوع أي خلل في عمل الإنسان:

1. العقل النظري:

ويمثل القيادة العليا والمرشد الأعلى في الحكومة العقلية، ووظائفه هي:

- تشخيص المنهج المعرفي الصحيح.
- بناء الرؤية الكونية.

---

(1) كتاب تطهير الأعراق.

- بيان قانون السلوك الفردي والاجتماعي والسياسي الكلي.
- ترشيد عمل القوى المدركة الحيوانية بنحو كلي.
- ترشيد عمل القوى الحيوانية المحركة بنحو كلي.
- انتخاب الدين والمذهب الإلهي الصحيح من بين سائر الأديان والمذاهب؛ لاستكمال طريق الترقي.

2. العقل العملي:

ويمثل المعاون التنفيذي للعقل النظري ورئيس الوزراء، ووظائفه هي:

- تطبيق القوانين الكلية للعقل النظري علي مواردها الجزئية.
- توجيه عمل القوى المدركة الحيوانية بنحو جزئي، كما بيّنّا في الفصل الرابع.
- توجيه عمل القوى المحركة الحيوانية بنحو جزئي، كما بيّنّا في الفصل الرابع.
- التصدي المباشر لأي تحركات معادية أو مخالفة للقانون العقلي أو الشرعي من جانب القوي الحيوانية.
- المراقبة لعمل القوى الحيوانية.
- التقييم والمحاسبة للقوى الحيوانية.

ثالثا ـ المراقبة:

وهي من الوظائف الأساسية للعقل العملي وتشمل:

1. مراقبة القوة الحيوانية المدركة؛ لضمان عملها الإدراكي على طبق القانون العقلي والشرعي.

2. مراقبة القوة الحيوانية المحركة؛ لضمان تحريكها للإنسان على طبق القانون العقلي والشرعي .

رابعا ـ المحاسبة:

وهي من وظائف العقلي العملي كذلك، وتشمل:

1. محاسبة القوى الحيوانية المدركة بالثواب والعقاب عند استقامتها أو تخلفها عن القانون.

2. محاسبة القوى الحيوانية المحركة بالثواب والعقاب عند تنفيذها الأوامر العقلية أو تمردها عليها.

خامسا ـ التقييم :

وهي من وظائف العقل العملي أيضاً

1. تقييم عمل القوة الحيوانية المدركة، وهو ضروري لمعرفة مدى النجاح أو الاخفاق في إدارة الصراع، حيث ربما يستلزم ذلك تغيير أو تعديل بعض الخطط والاستراتيجيات.

2. تقييم عمل القوى الحيوانية المحركة، لنفس الأسباب السابقة وإلى هنا يكون قد تبين لنا الاستراتيجية العامة للعقل في إدارة الصراع الداخلي مع القوى الحيوانية المختلفة، لتصل النوبة بعدها لبيان استراتيجيته في إدارة الصراع الخارجي في الفصل اللاحق إن شاء الله تعالى.

الفصل السابع
إدارة العقل للصراع الخارجي

لقد تكلمنا في الفصل السابق عن كيفية إدراة العقل للصراع الداخلي مع القوى الحيوانية في داخل مملكة الإنسان، ولكننا في هذا الفصل نريد أن نتعرض لكيفية إدارة العقل للصراع الخارجي داخل المجتمع البشري واللبيب يدرك مما تقدم أنّ هذا الصراع الخارجي يدور في الحقيقة بين مصاديق العقل الإنساني من جهة ومصاديق القوى الحيوانية في الخارج من جهة أخرى، بعد أن أشرنا إلى أنّ نتائج هذا الصراع الداخلي ستنعكس لا محالة على الصراع الخارجي وتتجلى مصاديق العقل الإنساني بمراتبه المختلفة بنحو عام، وعلى مر التاريخ في الأنبياء وأوصيائهم(ع)، وفي الحكماء الإلهيين، ومن بعدهم في المصلحين والأحرار والشرفاء وأباة الضيم، الذي سعوا وجاهدوا من أجل نشر الحكمة والعدالة، وقاوموا الظلم والفساد والاستبداد، ورفضوا الاستسلام والذل والهوان، وهؤلاء يمثلون معسكر الخير، وهم الساعون

على مر التاريخ لتشكيل المدينة الفاضلة، أو مانسميه نحن بالحكومة العقلية قال الفارابي (فالمدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال فيها السعادة في الحقيقة، هي المدينة الفاضلة)[1].

وتتجسد مصاديق القوى الحيوانية في أئمة الضلال والسفسطة، وحكام الجور وأعوانهم وأتباعهم ممن استسلموا لقوى الشر العالمي بعد أن خسروا أنفسهم، وباعوها بثمن بخس، وسعوا في المقابل إلى تضليل الناس وسحق عقولهم، من أجل التسلط عليهم بغير حق، وممارسة جميع ألوان الظلم والفساد، وعاثوا من بعدها في الأرض فسادا، وهؤلاء يمثلون معسكر الشر، وهم المؤسسون للمدينة الجاهلة قال الفارابي: (فالمدينة الجاهلة هي التي لم يعرف أهلها السعادة ولا خطرت لهم، وإن أرشدوا إليها لم يفهموها ولم يعتقدوها وإنما عرفوا من الخيرات بعض هذه التي هي مظنونة في الظاهر أنها خيرات من التي يظن أنها هي الغايات في الحياة، وهي سلامة الأبدان واليسار والتمتع باللذات، وأن يكون مُخلى هواه، وأن يكون مكرما ومعظما. فكل واحد من هذه سعادة عند أهل المدينة الجاهلة والسعادة العظمى الكاملة عندهم هي اجتماع هذه كلها، وأضدادها هي الشقاء، وهي آفات الأبدان والفقر

(1) المدينة الفاضلة، ص40.

وألا يتمتع باللذات، وألا يكون مخلى هواه، وألا يكون مكرما)[1].

ونحن سنسعى بإذن الله تعالى في هذا الفصل المهم إلى بيان تلك الاستراتيجية العقلية الحكيمة في إدارة هذا الصراع الخارجي بناء على مرآتية هذا الصراع للصراع الداخلي، وتطابقه معه، حيث سنخطوا فيه خطوات مماثلة لما سبق، حيث ينبغي أن يتبنى معسكر الخير هذه الاستراتيجية العقلية، ويقوم بتطبيقها على مصاديقها الخارجية في صراعه الطويل والمصيري مع معسكر الشر وقوى الشر العالمي، حيث إنها هي السبيل الوحيد لهداية المجتمعات البشرية وإصلاحها أولا، وتحقيق الانتصار الحقيقي والحاسم على معسكر الشر ثانيا، حيث ستتمكن البشرية بعدها من إقامة الحضارة الإنسانية الحقيقية وتحقيق العدالة الاجتماعية، وبناء المدينة الفاضلة التي هي في الواقع حلم الأنبياء وقرة عين الحكماء.

أولا- التخطيط: وكما قلنا في السابق فإنه يشتمل على وضع الهدف النهائي والأهداف الجزئية، ورسم السياسات الكلية والجزئية والبرامج التفصيلية، ولكننا هنا سنكتفي بالإشارة إلى الهدف النهائي، والسياسات الكلية التي هي بمثابة معالم عقلية على الطريق، والتي ينبغي أن يعمل

---

(1) نفس المصدر، ص78.

المجتمع البشري على ضوئها للوصول إلى الهدف النهائي وأما وضع السياسات الجزئية والبرامج التفصيلية التنفيذية المحققة للسياسات الكلية فهي على عهدة المتخصصين الأمناء الذين سيعملون تحت إشراف الإدارة الحكيمة للحكومة العقلية.

الهدف النهائي: انتصار معسكر الخير على معسكر الشر، وإقامة المدينة الفاضلة تحت ظل الحكومة العقلية الرشيدة التي تتحق فيها العدالة الاجتماعية والتعايش السلمي والاستقرار الاجتماعي، ويتمكن كل إنسان فيها أن يصل إلى أقصى كماله الممكن له، والتي هي الغاية من الخلقة، على طبق العناية الإلهية.

- **السياسات الكلية**: وهي الاستراتيجيات التي ينبغي اتخاذها للوصول للهدف النهائي، وهي التي يرسمها وينفذها الحكماء وأنصار الحكمة العقلية من المؤمنين بسيادة القيم والقوانين الإنسانية الإلهية، وتشمل:

- **إصلاح النظام التعليمي**
- **إصلاح النظام التربوي**
- **إصلاح النظام الاقتصادي**
- **إصلاح النظام السياسي**

وسوف نتعرض باختصار لكل واحدة من هذه السياسات الكلية؛ لتكون بمثابة منارة أساسية تضيء لنا الطريق:

❖ إصلاح النظام التعليمي:

إن أحوالنا الفعلية معلولة لثقافتنا الماضوية، وأحوالنا المستقبلية معلولة لثقافتنا الفعلية، فإن أردنا أن نصلح أحوالنا المستقبلية، فعلينا أن نصلح ثقافتنا الفعلية ولاشك أنّ النظام التعليمي يلعب الدور الأساسي في بناء المنظومة الفكرية والثقافية الفردية والمجتمعية، فبداية الإصلاح الفردي والاجتماعي، إنما تبدأ في الحقيقة بإصلاح النظام التعليمي بقسميه الأكاديمي والديني ونحن لانريد هنا أن نتعرض بالتفصيل لبرامج الإصلاح التعليمي، حيث يكون ذلك على عهدة المشرفين والمتخصصين التعليميين، الذين نُكنّ لهم كل التقدير والاحترام، ولكن سنشير فقط إلى الأهداف والسياسات الكلية التي ينبغي أن يكون عليها النظام التعليمي على طبق منهجنا العقلي ورؤيتنا الفلسفية؛ ليكون بمثابة الأساس الذي ترتكز عليه برامج الإصلاح التعليمي ولكن قبل الإشارة إلي هذه المعالم الكلية للإصلاح التعليم، أرى إنه من الضروري أن نشير إلى المشكلات الفعلية الموجودة في النظام التعليمي الحالي؛ لكي يتضح لنا مدي الخلل الجوهري الموجود فيه أولا، من

أجل ترشيد عملية الإصلاح بعد ذلك في استئصال هذا الخلل من جذوره، حيث إن العلاج الجذري للمرض يتوقف على التشخيص العميق والدقيق له، فإنّ آفة الإصلاح هو الخطأ في التشخيص، حيث تؤخذ الأعراض مكان الأمراض وسوف نبدأ بالبحث أولا عن النظام التعليمي الأكاديمي، ثم ننتقل بعد ذلك إلى البحث حول النظام التعليمي الديني.

أولاـ النظام التعليمي الأكاديمي: وهو النظام القائم في المدارس والجامعات الحديثة التي أنشأها الغرب في القرون الأخيرة على أساس منهجه الحسي ورؤيته المادية في خضم ثورته الصناعية ويمكننا أن نلخص المشاكل الموجودة في النظام التعليمي الأكاديمي المعاصر في النقاط التالية:

1. فقدان الرؤية الواقعية الصحيحة لفلسفة التعليم والتعلم عند الأستاذ والتلميذ، الأمر الذي يؤدي إلى انحراف الأسس والمقاصد التى ينبغي أن يبتنى عليه النظام التعليمي.

فنجد الأستاذ يعمل من أجل الأجر والجاه الاجتماعي، في حين يسعى الطالب منذ نعومة أظافره لتحصيل الشهادات العلمية التي تؤهله لتحصيل العمل المناسب الذي يؤّمن له المال الوفير والمناصب الاجتماعية العالية، فتحول التعليم إلى تجارة متبادلة بين الأستاذ والتلميذ، بعد أن فقد بعده الإنساني العقلي.

2. الإجبار التعليمي، حيث يتم إلزام الطالب بالحضور والغياب لكل الحصص الدراسية المفروضة عليه، ويلاحق بالامتحانات الدورية المتوالية والمرهقة، بحيث أصبح هم الطالب فقط هو أن يتعلم ويحفظ من أجل أن يتجاوزها بنجاح، ولينسى بعدها كل ماكان قد حفظه قبلها وهذا الإجبار هو الذي أدي إلى نفور الغالبية الساحقة من التلاميذ من التحصيل الدراسي، بحيث أصبحوا يترقبون اليوم الذي يذهبون فيه إلى العطلة التي يخلعون فيها رداء التعليم والتعلم بالكلية، ويعكفون فيها على اللهو واللعب، ثم يأسفون بعد ذلك على سرعة انقضاء العطلة، ليعودوا بعدها إلى الدراسة وقلوبهم مملؤة بالحسرة والألم.

3. بيداغوجية الحشو التعليمي، حيث يتم حشد عدد هائل من المواد الدراسية المتباينة مع بعضها البعض (حوالي خمس إلى ست حصص دراسية في اليوم الواحد)، بنحو يثقل كاهل الطالب، ولاتدع له وقت للتأمل والتفكير، وبالتالي تقتل فيه روح الإبداع والخلاقية يقول الدكتور المصطفى حميمو ((ما لا نريده بالتأكيد، هو إعادة صناعة ذلك الإنسان الفاشل الذي، بعد مروره من كل مراحل التعليم أو بعضها، تجد عقله قد اختُزل في قرص صلب إما شبه فارغ مما ينفع صاحبه ومجتمعه أو مملوء

بمعلومات جامدة مع محرك للبحث بسبب الإفراط في الحفظ من دون ما يكفي من فرص للتفكير))[1].

ويضيف قائلا ((خريجوا المدارس الابتدائية يعانون من الأمية، حيث إنهم قد تعلموا مهارات الكتابة والقراءة والحساب دون كفاءة تطبيقاتها لتحصيل الرصيد المعرفي النافع، فهو يقرأ بلافهم لنصوص جديدة، ويتحدث بلا وعي وابداع لموضوعات جديدة، ويحسب فقط في مسائل جزئية محدودة، ففي الواقع بعد ست سنوات يكون قد رفع أميته فقط في صرف القراءة الكتابة والحساب دون أي رصيد معرفي أو قيمي حقيقي))[2].

4. عدم مراعاة مراتب العلوم في السلم التعليمي بحيث يؤخر مامن حقه التقديم، ويقدّم مامن حقه التأخير، كتأخير دراسة العلوم العقلية إلى نهاية المرحلة الثانوية، مع كون موضعها الطبيعي هو بدايات المرحلة الابتدائية، مما يؤدي إلى اضطراب شديد في ذهن أكثر المتعلمين، وهذا مرجعه إلى الجهل بصناعة البرهان، وارتباط العلوم بعضها ببعض.

---

(1) المخرج من أزمة التعليم في المغرب.

(2) نفس المصدر.

5. عدم تصدير العلوم بأ ي مقدمات تمهيدية تحكي عن طبيعة هذا العلم، وعن موضوعه ومبادئه وغايته ومرتبته، وأهميته في حياة الإنسان ـ كما كان يفعل الحكماء في الماضي ـ الأمر الذي يحرم الطالب من النظرة الكلية الفلسفية للعلم، مما يرسخ فيه نوازع الحشو والحفظ والتقليد الخالي من الفهم والتأمل.

6. غياب العلوم العقلية من المناهج الدراسية، لاسيما في بداية التعليم، ثم عرضها متأخرا بصورة تاريخية مبعثرة فارغة من المضمون العلمي، وحصرها في بعض التخصصات المتعلقة بالبحوث الأدبية والإنسانية، دون سائر التخصصات العلمية، حيث لاتعد تلك العلوم العالية في الرؤية الحسية المادية من سنخ العلوم، مع كونها أساس العلم، وركيزته الأولى.

7. هيمنة المنهج الحسي الاستقرائي كما في العلوم الطبيعية، أو الحسي التحليلي كما في العلوم الرياضية، دون المنهج العقلي البرهاني التجريدي، مما يؤصل للذهنية الحسية عند الطالب، والتي تؤدي بدورها إلى ترسيخ الرؤية المادية الغريزية للحياة وللمنظومة الأخلاقية والاجتماعية، كما نشاهده في سلوك أغلب المتعلمين في هذه المراكز الأكاديمية، حيث نراهم يلهثون وراء تحصيل الكمالات المادية لاغير

وتصب كل هذه المشاكل التعليمية وغيرها، في تقوية الجانب الحسي المادي في الإنسان المتعلم، وإضعاف الجانب العقلي المعنوي، والذي يؤدي في النهاية إلى أسوأ العواقب الفردية والاجتماعية في المجتمعات البشرية.

وبعد الفراغ من تشخيص بعض المشاكل الموجودة في النظام التعليمي الأكاديمي المعاصر، ينفتح أمامنا الباب على مصراعية لعلاج هذه المشاكل التعليمية من جذورها في ظل مانسميه بعقلنة النظام التعليمي ويمكن الإشارة هنا إلى بعض المعالم الكلية لمنظومة الإصلاح التعليمي:

1. تصحيح النوايا العلمية عند الأستاذ والتلميذ بما يتناسب مع فلسفة التعليم الحقيقية التي سبق وأن أشرنا إليها، بحيث يتحرر الطرفان من النظرة المادية السطحية الضيقة لفلسفة التعليم، ويدركان أن الغاية الحقيقية من الدراسة هي استكمال الإنسان في إنسانيته، وارتقاؤه في سلم الوجود، وخروجه من ظلمات الجهل إلى نور الوجود؛ ليبني رؤيته الكونية عن الحياة، ومنظومته الأخلاقية السلوكية على أساس واقعي يضمن له الانسجام مع نفسه ومع الاخرين، ويرسم له طريق السعادة والفلاح الحقيقيين.

2. التقليل من الحصص الدراسية، وأساليب الإجبار التعليمي على قدر المستطاع، وذلك بتشويق الطالب على الحضور بشتى المحفزات المادية والمعنوية، وحسن اختيار المعلم المناسب القادر على إيجاد رابطة

المودة والمحبة مع تلاميذه، والاكتفاء بامتحان واحد نهاية العام، لنبعد هاجس وهم الامتحان عن ذهن الطالب؛ لكي يتفرغ للتعليم والتركيز في البحث العلمي الخالص بعيدا عن القلق الامتحاني، ويمكن الاستعاضة عن ذلك، بالاعتماد على المعلم في تقييمه الدائم لتلامذته، وتكليفهم ببحوث تحقيقية، واعتماد المسابقات الدورية بدلا من الامتحانات الفصلية قال افلاطون في الجمهورية ((إن الأطفال لن يتعلموا إلا إذا كانوا يرغبون في التعلم، وأن التعليم الإجباري لا يعلق في الذاكرة))[1].

3. اجتناب بيداغوجية الحشو المعلوماتي، بتقليل الحصص الدراسية من الناحية الكمية، والارتقاء بالكيفية التعليمية، التي تحض على الفهم والتأمل والتفكير المنظم، بدلا عن الحفظ العشوائي يقول الدكتور المصطفي حميمو ((أما الإنسان الذي نريد بناءه بإصلاح التعليم فهو ذلك الإنسان الإيجابي الذي كالمهندس، يتلذذ برفع التحديات وينتشي بالانجازات، ولا يتم بناء ذلك الإنسان المنشود في بلادنا وبحسب نظرنا للأمور إلا:

✓ بالعودة إلى مدرسة اكتساب المعارف وتنمية المواهب مع تقوية حب الفضول والاستطلاع ورفع التحديات وعشق الأمور الجميلة والأخلاق الفاضلة.

---

(1) الجمهورية.

- ✓ بالكف عن استصغار عقول تلاميذ الابتدائي.
- ✓ بالعدول عن بيداغوجية الحشو العقيم البداغوجية التي تجعل من اكتساب المهارات هدفا في حد ذاتها، في حين ما هي إلا آليات في خدمة الكفايات، واعتماد بيداغوجية التحدي المفرزة لفئتي المتفوقين والمتوسطين، البيداغوجية التي تجعل المتعلم على الدوام في أوضاع تستدعي التفكير لحل المسائل والمشاكل، وهي تؤدي إلى المزيد من التنافس التعليمي، وتولد النشوة واللذة لدي التلاميذ، وتوصل كل فرد لأقصى كماله الممكن له))[1].

4. إعتماد المنهج العقلي البرهاني كمنهج رئيسي حاكم على سائر المناهج الدراسية، وإعادة ترتيب المواد الدراسية بعد إدخال العلوم العقلية فيها على النحو المبين في الفصل السادس؛ من أجل تحقيق الغاية العقلية المنشودة من التعليم، وهي تكميل العقل النظري.

5. إعادة فرز التلاميذ في نهاية المرحلة الابتدائية، لاستكشاف قابلياتهم واستعداداتهم العلمية والفكرية، ومهاراتهم العملية، بحيث يبدأ تصنيفهم بعد ذلك في المراحل المتوسطة والعليا للدراسات الفكرية والعلمية والتقنية والمهنية، كلٌ بحسب استعدادة.

---

(1) المخرج من أزمة التعليم في المغرب.

6. عقلنة العلوم الإنسانية، وإعادة صياغتها على طبق المنهج العقلي البرهاني، وتعميمها في جميع الكليات الجامعية في مراحلها الأولى (الليسانس)، حيث لاغنى لأي طالب علم عن التعرف عليها؛ لأنها في الواقع تمثل علوم الحياة، على حين يمثل غيرها علوم تقنية وحرفية ومهنية.

ثانيا- النظام التعليمي الديني:

وهو النظام الموجود في المدارس والمعاهد الدينية والحوزات العلمية، وهو في أصله يمثل النظام التعليمي التقليدي القديم الذي كان غالبا مايشمل سائر العلوم والمعارف الإنسانية، ولكنه بعد ظهور الثورة الصناعية في الغرب، واجتياح النظام التعليمي الأكاديمي للعالم العربي والإسلامي، انكفأت هذه المدارس التقليدية على نفسها، وانحصرت مناهجها في تدريس العلوم الدينية والشرعية.

ويمكن الإشارة إلي موارد الخلل الموجودة في هذا النظام التعليمي بالنحو التالي:

1. اعتماد المنهج النقلي كمنهج رئيسي وحيد في تحصيل العلوم الدينية، الأمر الذي أدى إلى تضييق أفق الطالب، وترسيخ الرؤية السطحية الجزئية للدين والحياة، وتنمية روح التعصب والدوجماطيقية.

2. إقصاء العلوم العقلية بالكلية ـ في أغلب المدارس الدينية ـ لاسيما الفلسفة الإلهية عن ساحة التعليم الديني، بل تحريمها ومحاربتها في الكثير من الأحيان، مع كونها تمثل الأساس الوحيد للدين الصحيح، والمنطلق الأساسي لطالب العلم، حيث تكتسب العلوم الدينية مشروعيتها المعرفية منها ـ كما أشرنا إلي ذلك في السابق ـ الأمر الذي أدى إلى ظهور الانحرافات الفكرية والمذهبية، وتفشي الخرافات، والقراءات الخاطئة والشاذة للدين.

3. الاكتفاء بالمنهج الكلامي الجدلي في أصول الدين دون المنهج العقلي البرهاني، الأمر الذي أدى إلى توسيع رقعة الخلاف بين المتدينين، وانتشار الملل والنحل والمذاهب الدينية المتناحرة.

4. التركيز على دراسة فروع الدين الفقهية دون أصوله ومبانيه الكلية، وسموها بالعلوم الشرعية، مما أفقد طالب العلوم الدينية الرؤية الصحيحة لفلسفة الدين، ودوره في الحياة، حتى أضحى عاجزا حتى عن الدفاع عن أصول اعتقاداته أمام شبهات وإشكالات المخالفين، بعد أن اكتفى باعتقاداته التقليدية التي كان قد اكتسبها من بيئته العرفية قبل دخوله للمدارس الدينية.

5. فصل طالب الدين عن العلوم والفنون الحديثة وتطوراتها، بل وتحريمه للكثير منها، مما أدى إلى عجزه عن مجاراة الحياة الاجتماعية العصرية وانعزاله عنها.

6. تدني الوضع الاقتصادي والاجتماعي لغالب طلبة العلوم الدينية، الأمر الذي أدي في الغالب إما إلى تركهم لعملهم الديني، وتخليهم عن مسؤولياتهم الشرعية، والانخراط في أعمال دنيوية أخرى لتحصيل أرزاقهم، أو يصبحوا أداة في أيدي الأنظمة السياسية الجائرة لتحقيق مصالحهاغير المشروعة ومما تقدم تتبين لنا المعالم الكلية لكيفية إصلاح هذا النحو المسمى بالتعليم الديني بالنحو التالي:

1. هذا النحو من الدراسة ينبغي أن يكون بحسب رؤيتنا العقلية في طول الدراسات العلمية الأكاديمية ـ بعد إصلاحها بالنحو الذي أشرنا إليه ـ بحيث يكون تخصصا برأسه بعد التخرج من الجامعات الأكاديمية، حتى لاينفصل النظام الديني عن الأكاديمي، والذي ترتب عليه أسوأ العواقب الثقافية والاجتماعية، والتي على رأسها تخلف النظام التعليمي الديني، وعلمنة النظام التعليمي الأكاديمي.

2. إخضاع طلبة العلوم الدينية لاختبارات ذهنية ونفسية دقيقة، قبل قبولهم في المراكز العلمية الدينية، بحيث نضمن حسن استعدادهم الذهني

والأخلاقي الضروريان لهذه الدراسة الإلهية الإنسانية السامية، وليكونوا على مستوى تحمل مسؤولياتهم القيادية والتوجيهية في المستقبل، حيث ينبغي أن يكونوا هم القدوة لغيرهم.

3. اعتماد المنهج العقلي البرهاني كمنهج أساسي في الدراسات الدينية، على أن يكون المنهج النقلي في طوله وتحت إشرافه، لا في عرضه أو بديلا عنه كما هو في النظام الحالي.

4. أن تبدأ الدراسات الدينية بالعلوم العقلية، لأنها علوم دينية وشرعية، وليست أجنبية كما يتوهم البعض، حيث إن أصول الدين متقومة بها، وقائمة على أساسها.

5. أن تسبق الدراسات المتعلقة بأصول الدين الدراسات الفقهية والنقلية المتعلقة بفروع الدين، حيث إن هذا هو مقتضى الحكمة والترتيب التعليمي، من أجل الفهم الصحيح للدين وأحكامه الشرعية والأخلاقية.

6. إدخال بعض العلوم الإنسانية ومهارات التنمية االبشرية الحديثة بعد إصلاحهاوتصفيتها من الشوائب غير العقلية، والاستفادة من تجاربها العلمية والاستقرائية في تطوير آليات التبليغ الديني والتواصل الصحيح مع الناس داخل المجتمع البشري، حتى يكون عالم الدين

منفتحا على مجتمعه، ومتفاعلا معه على الدوام وإلى هنا نكون قد فرغنا من بيان المعالم الكلية لعقلنة النظام التعليمي بنحو شامل، والذي يمثل اللبنة الأول نحو الإصلاح الثقافي والاجتماعي والسياسي.

❖ **إصلاح النظام التربوي:**

سبق وأن بينا أنّ النظام التربوي عند الحكماء يغاير النظام التعليمي، على خلاف ماهو شائع اليوم في أكثر المراكز الأكاديمية، حيث ذاب مفهوم التربية في مفهوم التعليم، واصطلح عليه بالانجليزية (Education)، وأضحى مفهوم التربية الواقعي في العصر الحاضر يسمى بالتدريب (Training)، أي أسلوب اكتساب المهارات الحرفية والمهنية المختلفة.

أما فلسفة التربية عندنا ـ وكما أشار الحكماء ـ فهي تقوية العقل العملي ودعمه في صراعه الطويل والمرير مع قوى النفس الحيوانية ولايخفى على الإنسان العاقل أنه بدون إصلاح النظام التربوي، فسوف يكون إصلاح النظام التعليمي بلاجدوي عملية على المستوى الإنساني، بل سيتحول العلم إلى أداة مدمرة للقيم والمبادئ الإلهية والإنسانية ـ كما هو الحال الان ـ لذلك وجب بحكم العقل أن نولي النظام التربوي نفس الاهتمام بالنظام التعليمي، فالتربية والتعليم هما جناحا التكامل

والارتقاء الإنساني كما بينّا وقبل بيان معالم الإصلاح التربوي نشير إلى وجوه الخلل التربوية الموجودة في مجتمعاتنا البشرية:

1. الغاء مفهوم التربية بمعناه الحقيقي، واستبداله بمفهوم التعليم، أو تحجيمه إما في مفهوم التدريب لاكتساب المهارات العملية، كما هو الشائع في ورش العمل التنموية، والأندية الرياضية، والمعاهد الفنية، ومراكز التدريب المهني والحرفي، أو في تعلم بعض الرسوم والآداب الاجتماعية الظاهرية، كما هو في الكثير من الأسر والعوائل، لاسيما الأرستقراطية منها.
2. اعتماد المناهج النقلية الدينية السطحية، أو العرفية، أو الصوفية الخرافية في التربية المعنوية، والتي غالبا ما تجافي الواقع الإنساني.
3. اعتماد المناهج الحسية الاستقرائية المبتنية على الرؤى الكونية المادية في تربية الأجيال الصاعدة.
4. تشويه الفنون والأداب، واستغلالها لترويج السفسطة والمنكرات، وتحريك الغرائز الحيوانية، وإضعاف العقل العملي بنشر الرذائل وتشويه الفضائل.
5. الإعلام المضلل الذي يحرف المفاهيم، ويدمر القيم والمبادئ الإنسانية والإلهية.

6. ترويج المخدرات، والحض على العنف والإباحية.

وبعد كشف موارد الخلل التربوي في مجتمعاتنا البشرية، تتبين لنا الخطوط العريضة لإصلاح النظام التربوي:

1. ينبغي إحياء المفهوم الحقيقي للتربية، وهو تقوية العقل العملي، أو بلسان العرف البسيط إحياء الضمير الإنساني، وتقوية الإرادة العقلية، وهو مالا يعرفه أو لا يسعى إليه إلا الأقلون عددا.

2. اعتماد المنهج العقلي القويم في التربية كما اعتمدناه في التعليم؛ من أجل أن يتم وضع البرامج التربوية في الحياة على أساس الرؤية الكونية الواقعية والنظام الأخلاقي والاجتماعي الصحيح، وبما ينسجم مع واقع الإنسان والطبيعة من حوله.

3. اجتناب التربية المادية التي ترسخ قيم الأنانية والانتهازية في نفوس الجيل الصاعد.

4. اجتناب التربية الدينية السطحية المتحجرة والمتشددة، المخالفة لروح الرحمة والتسامح الديني، والبعيدة كل البعد عن فلسفة الدين ومقاصده العليا السامية، والتي تعطل العقول، وتؤجج روح التعصب والعداء بين بنى الإنسان، وتهدد السلم الأهلي والاجتماعي.

5. اجتناب حشو أذهان الأطفال بالقصص الخرافية التي تقوي القوى الوهمية، والخيال العبثي عند الطفل، وتبعده عن التفكر العقلي

الواقعي.

6. الأهتمام بالفنون الفاضلة من القصص الهادفة، والموسيقى الهادئة المتناسقة، والدراما العقلية التي ترسخ القيم الإنسانية والإلهية، التي تحبب إليهم الفضائل وتنفرهم من الرذائل، وتهديهم إلى الإقتداء بالأنبياء والحكماء والصالحين.

7. تربية الأطفال على التفكر والتأمل، وطرح كل مايجول في أذهانهم بحرية، وتنبيههم على أهمية التفكير الصحيح ومعرفة قواعده.

8. حثهم على التبكير بدراسة العلوم العقلية، وبيان أهميتها الكبرى في حياة الإنسان.

9. تحذيرهم من رفقاء السوء وأعداء العقل والإنسانية.

10. ترشيد العمل الإعلامي في الإذاعة والتليفزيون وسائر المنابر الإعلامية في المساجد والمنتديات، وتوجيهه بنحو يصب في صالح ترسيخ الفضائل ونشرها، وتهذيب النفوس وتذكيتها، واجتناب الترويج الإعلامي لكل مايؤجج الغرائز الحيوانية ويؤدي إلى العنف والتحلل الأخلاقي داخل المجتمع.

❖ إصلاح النظام الاقتصادي:

قال تعالي بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته **الأنبياء.**

لاشك أن المال هو شريان حياة الإنسان في هذه الدنيا؛ لأنه بالمال يستطيع الإنسان تأمين وتطوير كل حاجاته الطبيعية الضرورية من الغذاء والشراب والملبس والمسكن، ووسائل مواصلاته وارتباطاته، وكل مايحميه ويدافع به عن نفسه في هذه الحياة، فالإنسان في الحقيقة يحتاج إلى المال لتأمين حاجات جسده في جلب النفع ودفع الضرر والحفاظ على الجسد هو من الضرورات العقلية لكونه آلة استكمال النفس الإنسانية في هذا العالم كما سبق وأن بيّنا ذلك.

وبما أن الإنسان أصبح يعيش داخل مجتمعات بشرية مع غيره من البشر، فقد أصبحت مسألة تأمين مايلزمه ويلزم غيره من المال تحتاج إلى سن قوانين ووضع سياسات وبرامج اقتصادية من قبل الحكومة من أجل تنظيم الدورة المالية داخل المدينة، وضمان الحقوق والواجبات المشروعة لكل أفراد المجتمع ونحن هنا قبل بيان المعالم الكلية للنظام الاقتصادي العقلي، نشير كما سبق إلى بعض موارد الخلل الموجودة في النظم الاقتصادية الحالية التي ألحقت أضرارا كثيرة بجسم الإنسان وروحه معا؛ لكي يتضح بعدها موارد الإصلاح المطلوبة:

1. شيوع النوايا المادية المفرطة في تحصيل المال ورسوخها في نفوس الناس، بحيث أصبح الهدف من طلب الرزق ليس هو الكفاف، أو حتى

مجرد الحياة الكريمة المتوسطة، بل تحصيل أكبر قدر من المال، من أجل تحقيق أعلى درجات الرفاهية والتنعم بالحياة الدنيا، وتحقيق ذلك بالطبع غير متيسر إلا للقليل من أصحاب المهارات والشرائط الخاصة في المجتمع، مما يؤجج الصراع بين الناس، ويجعلهم يصابون بالإحباط ويشعرون بسوء الحظ، وهذا كله بسبب النظرة الخاطئة لطبيعة الإنسان وفلسفة الحياة.

2. الصعوبة البالغة في تحصيل الرزق، بحيث أصبح أكثر الناس مضطرون للعمل ليل نهار لتحصيل الحد الأدنى للحياة الكريمة، وكأن الناس قد خلقوا من أجل تحصيل أرزاقهم، حيث أصبحوا مستغرقين بالكلية في أعمالهم الدنيوية، ولم يعد لديهم أدنى وقت للتفكر أو التدبر أو تحصيل العلم وسائر المقامات المعنوية، مما يتنافى مع الفلسفة الوجودية للإنسان في هذه الحياة.

3. الإفراط في انتاج السلع الكمالية والترفيهية الخارجة عن الاحتياجات الضرورية للإنسان، الأمر الذي أدى إلى تعقيد الحياة، وإلهاء الناس بالأمور المادية الثانوية، وإعراضهم عن تحصيل كمالاتهم المعنوية الحقيقية التي خلقوا من أجلها، وأضحوا يلهثون وراء تحصيل هذه الكماليات المادية غير الضرورية بأي ثمن وبأي وسيلة.

4. التنافس الشديد بين الناس في تحصيل أكبر نسبة من الأرباح، الأمر الذي أدي إلى سلوك الطرق غير المشروعة والمكاسب المحرمة لتحقيق الربح بأي وسيلة، مما أدى بدوره إلى شيوع الفساد ووقوع الحروب والصراعات المدمرة.

5. التفاوت الطبقي الفاحش بين شرائح المجتمع، بحيث تكدست الثروات الطائلة في أيدي فئة قليلة جدا من الناس، وأضحت الغالبية الساحقة تعيش تحت خط الفقر، مما يتنافى بالكلية مع أبسط معاني العدالة الاجتماعية وفلسفة الاجتماع، وقد أدى ذلك إلى شيوع روح الحسد والحقد بين طبقات المجتمع، وانتشار الجريمة المنظمة، واختلال السلم الاجتماعي.

6. الغلاء الفاحش للأسعار، مع ضعف القوة الشرائية عند أكثر الناس نتيجة السياسات الاقتصادية الخاطئة، وطغيان الروح المادية والتفكر الرأسمالي، مما أدي إلى مشاكل عائلية واجتماعية كثيرة وخطيرة.

7. ارتفاع نسبة البطالة الكبيرة بين الناس لاسيما طبقة الشباب، حتى خريجي الجامعات منهم، نتيجة سوء التخطيط الاقتصادي من جهة، وميكنة وسائل الانتاج الصناعي، وانحسار الانتاج الزراعي من جهة أخرى، وقد أدي ذلك إلى تعطيل الطاقات الهائلة للشباب، وانحسار سوق

الزواج، وبالتالي ارتفاع نسبة العنوسة، والإدمان، والانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي وبعد الفراغ من بيان مشكلات النظام الاقتصادي المعاصر، يتمهد الطريق لبيان المعالم الكلية للنظام الاقتصادي العقلاني، وليس المقصود منه أيضا بيان الخطط والبرامج الاقتصادية التفصيلية، حيث يُعد ذلك من عمل المتخصصين الاقتصاديين، بل بيان المبادئ العقلية لهذا النظام، والتي هي بمثابة الأسس والمنطلقات:

1. تصحيح النوايا المادية المفرطة للعمل الاقتصادي؛ حيث إن الاقتصاد في خدمة الجسم، والجسم ـ كما بينا ـ آلة لاستكمال الروح، ولذلك ينبغي أن تكون نظرتنا للاقتصاد نظرة آلية، وليست غائية، وبالتالي لاينبغي أن تكون سياساتنا وبرامجنا الاقتصادية موضوعة على حساب القيم والمبادئ الإلهية والإنسانية، وإلا لزم نقض الغرض.

2. ينبغي السعي لتأمين معاش كريم لكل فرد من أفراد المجتمع، بنحو يؤمّن له الحد الأدنى لحاجاته الضرورية، بحيث لايضطره إلى البحث عن المكاسب المحرمة والضارة بالمجتمع الإنساني.

3. ينبغي ألايستهلك العمل معظم وقت الإنسان، بحيث يتحول إلى عبد أسير عند أصحاب العمل، وبالتالي يفقد حريته الشخصية في وضع برنامج تكاملي لحياته ولبناء أسرته.

4. اجتناب ثقافة الاستهلاك المؤدية إلى الفقر والتخلف والتبعية للأجنبي، واستبدالها بثقافة الانتاج والتطور.

5. السعي للاكتفاء الذاتي في جميع المجالات الزراعية والصناعية، حيث يمثل ذلك مفتاح الاستقلال السياسي.

6. الاهتمام الكبير بالقطاع الزراعي وتطويره، ومساواته بالقطاع الصناعي، حيث يمثل ذلك صمام الأمن الغذائي المتعلق بالحاجات الضرورية للإنسان.

7. التخلي عن صناعة المونتاج، واستبداله بصناعة التطوير والإبداع

8. مكافحة البطالة المقنعة غير المنتجة، واستبدالها بالعمالة الفاعلة والمنتجة.

9. محاربة كافة المكاسب المحرمة المدمرة لاقتصاد المجتمع وأخلاقياته

10. مكافحة ثقافة التجمل والإسراف، المؤدية إلى إهدار الموارد البشرية والطبيعية، واستبدالها بثقافة الاعتدال والقناعة.

11. التقليل ماأمكن من الفوارق الطبقية، بفرض الضرائب على الأثرياء، وتوسيع المؤسسات التعاونية والخيرية.

12. محاربة التضخم، والاحتكار، عن طريق توفير السلع الضرورية، وإيجاد التنافس التجاري الشريف، والرقابة على الأسعار.

13. مكافحة البطالة المخربة للشباب، والمدمرة للأسر والعوائل، عن طريق توفير الصناعات الزراعية واليدوية في كل مكان، وعدم الإفراط في ميكنة الصناعات المختلفة المؤدية إلى تسريح العاملين، ودعم الدولة للقطاع الخاص على قدر المستطاع.

14. محاربة شتى أشكال الفساد الاقتصادي من الرشوة والاختلاس والاحتيال وتبييض الأموال وتهريبها ... الخ.

وإلى هنا نكون قد فرغنا بتوفيق الله تعالى من بيان عقلنة النظام الاقتصادى بنحو كلي، وننتقل بعدها إلى بيان إصلاح النظام السياسي.

❖ **إصلاح النظام السياسي:**

المقصود من النظام السياسي هنا هي المبادئ الكلية التي تقوم عليها الحكومة من حيث الأسس والأهداف، بالإضافة إلى شكل الحكومة وخصائصها العامة، ودور الشعب فيها والنظم السياسية يمكن تقسيمها بحسب النظر العقلي، إلى نظام سياسي عقلي، ونظم سياسية لاعقلانية والناظر إلى التاريخ والواقع المعاصر يجد أن النظم السياسية اللاعقلية يمكن حصرها بنحو عام في نظامين، نظام فردي استبدادي، وهو غالبا

مايمثل النظام السياسي القديم، ونظام جماعي ديمقراطي علماني، وهو غالبا مايمثل النظام السياسي الحديث وسوف نشرع أولا في بيان مشاكل النظام الاستبدادي، ثم نتعرض لبيان مشاكل النظام الديموقراطي، ثم ننتقل بعدها لبيان معالم النظام السياسي العقلي المطلوب لنا، والمسمى في لسان الحكماء بالمدينة الفاضلة.

أولا ـ مشاكل النظام الفردي الاستبدادي:

1. مصادرة حق الناس في الاختيار، وهو حق جعله العقل والشرع الإلهي للناس على حد سواء؛ ليكونوا مسؤولين عن أفعالهم في الدنيا والآخرة، ولذلك فهو من أبرز مصاديق الظلم.

2. غياب الدستور الذي يمثل وثيقة الشرف السياسي بين الحاكم والمحكومين، والذي يتضمن مبادئ الحكم وخصائصه وأهدافه، والذي يتم سن سائر القوانين والتشريعات التفصيلية على أساسه، وبالتالي فلن يكون هناك حينئذ أي ضوابط منطقية موضوعية يمكن التقنين على أساسها، أو محاسبة الحاكم أو المسؤولين على قواعدها.

3. فقدان المشروعية العقلية والشرعية للحاكم والحكومة التي شكلها بنفسه، فلايبقى له إلا مشروعية القوة وشريعة الغاب، مما يفقد النظام الاحترام المطلوب للتعاون البنّاء، ويدعوا إلى التمرد عليه.

4. فقدان الشعور بالانتماء الوطني لعامة الشعب؛ لعدم شعورهم بالمشاركة الاجتماعية الحقيقية، وانتفاء فلسفة الاجتماع، وهو حق المساواة في التكامل المادي والمعنوي، الأمر الذي يصيب أفراد المجتمع باللاإبالية، والتهرب من القانون، والتفكير في الهجرة خارج المجتمع.

5. غياب أي نوع من الرقابة الشعبية الحقيقية على تصرفات الحاكم والحكومة، مما يؤدي إلى استفحال الفساد الإداري، وجميع اشكال الظلم والقمع والطغيان.

ثانيا ـ مشاكل النظام الديمقراطي العلماني:

1. قيامه على مبادئ معرفية حسية غير عقلية في التفكير والتدبير، وتنكره للمنهج العقلي الميتافيزيقي، على رغم رفعهم لشعار العقل والعقلانية.

2. قيامه على رؤية فلسفية مادية سطحية للحياة، على خلاف الرؤية الفلسفية العقلية الإلهية التي تعكس واقع الإنسان والعالم من حوله.

3. تأسيس نظامه القيمي الأخلاقي والاجتماعي على مبادئ مادية منافية لطبيعة الإنسان المركبة من بدن وروح، مما يؤدي إلى حرمان الإنسان من كمالاته الحقيقية المعنوية .

4. إن هذا النظام على رغم احترامه لحقوق الناس في اختيارهم للحاكم، والمشاركة في الحياة السياسية، إلا أن جعل ملاك المشروعية

هو محض اختيار الأكثرية ـ وهو ملاك اعتباري نسبي متغير ـ يفقد الحاكم تميزه الذاتي الحقيقي عن الآخرين، ويفتح الباب على مصراعيه أمام وصول الانتهازيين من أصحاب المال والقدرة إلى سدة الحكم، بعد تمكنهم من خداع الناس إعلاميا، وشراء الذمم والضمائر ماديا.

5. إن عقل الإنسان البرهاني يعلم من نفسه أنه قاصر بنفسه عن معرفة كل شيء يصب في مصلحة الإنسان والمجتمع ـ فضلا عن العقل الحسي الاستقرائي ـ وأنه يفتقر إلى دعم التشريعات الإلهية الحقيقية المبتنية على مبادئ وأصول عقلية، وتنطلق من مصالح ومفاسد واقعية منسجمة من طبيعة الإنسان والعالم المخلوقين من الباري تعالى، فلذلك فإن إقصاء المبادئ والقيم والتشريعات الإلهية في هذا النظام يُعد ظلم عظيم للإنسان، وجريمة كبيرة في حق المجتمع البشري.

6. سيطرة أصحاب رؤوس الأموال على سائر مراكز اتخاذ القرار السياسي والمنابر الإعلامية ـ كما هو مشاهد في الغرب ـ وخداعهم للرأي العام، وتضليلهم للناس بشتى الطرق والوسائل السفسطائية؛ من أجل استمرار الهيمنة عليهم.

7. انتشار التفسخ الأخلاقي، والتفكك الأسري، والأمراض النفسية، والمخدرات، والجريمة المنظمة، نتيجة غياب القيم الإنسانية والإلهية داخل المجتمع.

8. سيطرة الأشرار والمستكبرين على مراكز البحث العلمي والتقني، وتوجيهها لتأمين مصالحهم غير المشروعة، كانتاج أسلحة الدمار الشامل والأسلحة الكيميائية والبيولوجية، وتسخير منجزاتها العلمية في اتجاهات غير أخلاقية منافية للمصالح العليا للإنسانية.

وبعد الفراغ من بيان إشكالات النظم السياسية غير العقلية، تتجلى لنا بوضوح معالم النظام السياسي العقلي، والتي يمكننا الإشارة إليها في النقاط التالية:

1. قيامه على المبادئ العقلية البرهانية الواقعية النابعة من فطرة كل إنسان، في بناء منظومته الفلسفية والقيمية.

2. اعتماده على الرؤية الكونية الإلهية الواقعية في معرفة العالم والإنسان، واحتياجاته الذاتية، مما يؤمّن للحكومة تشريع القوانين وإدارة المجتمع بنحو ينسجم مع طبيعة الإنسان والعالم، بعيدا عن الأهواء الشخصية، والمصالح الحزبية والفئوية.

3. اعتماد التميز الذاتي للحاكم كملاك حقيقي لمشروعيته، وهو علمه وعدالته، حيث يرفض العقل حكومة الجاهل الظالم، ولو حاز كل أصوات الناس، لأن ذلك لا يغير من الواقع شيئا.

4. احترام آراء الناس في انتخاب من يحكمهم، حيث يُشترط أن تكون حكومة الحاكم العالم العادل مشروطة بقبول الناس له، وتحملهم لهذه المسؤولية؛ ليكونوا على استعداد تام للتعاون مع حكومته، وامتثال قوانينها.

5. تأمين الكمالات المادية والمعنوية لجميع أفراد المجتمع بالعدل والقسط، وتقديم الكمالات المعنوية المتعلقة بحقيقة الإنسان ومصيره بعد الموت على الكمالات المادية عند التزاحم بينهما.

6. ترويج الفضائل والقيم الإلهية والإنسانية، ومحاربة الرذائل وسائر المفاسد الاجتماعية، وذلك عن طريق عقلنة التربية والتعليم والإعلام والاقتصاد.

7. التصدي الحازم للمنافقين والأشرار في الداخل، وأعداء الإنسانية في الخارج.

8. التحرر من جميع أشكال التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية لقوى الشر والاستكبار العالمي.

ومن الواضح أن الهدف الكلي الذي ينشده النظام السياسي العقلي هو إعداد البيئة المناسبة لوصول كل إنسان إلى أقصى كماله الممكن له، وهو ماتعلقت به العناية والمشيئة الإلهية، والذي دخل من أجله الإنسان إلى المجتمع البشري.

وإلى هنا نكون قد انتهينا من بيان خطة العمل الاستراتيجية للعقل في إدارة الصراع الخارجي.

ثانيا- التنظيم:

ونعني به الهيكلية الإدارية التي تحمل على عاتقها عملية إدارة الصراع الخارجي، وتقوم بعملية الإصلاح الاجتماعي والسياسي، وسنشير إلى هذه الهيكلية التنظيمية أيضا بنحو عام دون الخوض في التفاصيل الجزئية التي نفضل أن نجعلها على عاتق المتخصصين الإداريين:

1. ينبغي أن يكون الحكيم المتأله، أو بعبارة أخرى العالم العادل على رأس السلطة السياسية، لاستحقاقه الذاتي لهذا المنصب، وحيازته ملاك المشروعية العقلية؛ لكونه وحده القادر على الإصلاح الحقيقي والإدارة العقلية للصراع، حيث إنه قد نجح في إدارة الصراع الداخلي مع قواه الحيوانية، على خلاف من فشل في ذلك ولم يتمكن من إصلاح نفسه، فكيف يقدر على إصلاح غيره؟ ولكن بعد أن يكون موضع قبول واحترام أغلب الناس

أو من يمثلهم، وهم الذين يريد أن يكون له حق الطاعة عليهم، ويرجو إرشادهم وإصلاحهم، حيث لا يتيسر ذلك إلا بالاختيار.

2. أن يشرع بتشكيل لجنة من الحكماء والمتخصصين لتدوين الدستور الذي سيحكم به البلاد والعباد، على أساس المبادئ الكلية العقلية، والقيم الإلهية والإنسانية، ثم يطرحه للاستفتاء الشعبي؛ لكي ينال المقبولية اللازمة لتنفيذه على أرض الواقع، حيث إن استعداد القابل وقبوله لفعل الفاعل شرط عقلي ضروري لوقوع لفعل وتأثير الفاعل.

3. أن يشرع بتشكيل الحكومة العقلية من المتخصصين الحائزين على الحد الأدنى من الحكمة والعدالة؛ لإدارة البلاد وإصلاح جميع مؤسساتها التعليمية والثقافية والاقتصادية والعسكرية والأمنية ... الخ على أساس المنظومة العقلية والإلهية.

4. أن يضع عملية الإصلاح التعليمي والثقافي على رأس أولوياته، وأن تكون وزارتي التربية والتعليم والثقافة من الوزارات السيادية التي تتمتع بأعلى ميزانية؛ لأن التربية والتعليم هما الهدف الحقيقي من تأسيس النظام السياسي والاجتماعي، والهدف الرئيس من بعثة جميع الأنبياء والمرسلين(ع) ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

---

(1) الجمعة: 2.

ثالثاـ المراقبة والمحاسبة:

ينبغي تشكيل جهاز رقابي نزيه وموسع له فروعه في جميع مؤسسات الدولة؛ لمتابعة ومراقبة عمل المسؤولين، ومدى كفاءتهم وإخلاصهم في العمل، ورفع تقارير دورية للحكومة لاتخاذ مايلزم من الإجراءات العقابية أو التحفيزية.

رابعا ـ التقييم:

وهي من الأمور الإدارية الضرورية، وينبغي أن تكون بطريقة علمية موضوعية تعكس الواقع الفعلي كما هو في نفسه بعيدا عن المبالغات والأرقام الوهمية المزيفة؛ لأن نتائج التقييم هي وحدها الكاشفة عن صحة العمل ونجاحه أو فشله، وبالتالي يكون هو المعيار لتصحيح المسار وتطوير العمل وإلى هنا نكون قد فرغنا من بيان كيفية إدارة العقل البرهاني للصراع الخارجي مع قوى الشر العالمي، والذي تنتهي بانتهائه فصول هذا الكتاب بعون الله تعالى وفضله وقد ظهر لنا في الختام ... أنّ جميع المشاكل التي تعاني منها المجتمعات البشرية سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي أو السياسي، إنما مرجعها إلى إقصاء العقل الحقيقي عن الحياة الإنسانية، واستبداله بأدوات أخرى غير عقلية، استطاع أن ينفذ من خلالها الشيطان إلى نفس الإنسان ليضله عن المعرفة الواقعية، ويسلك به سبيل الشقاء والتعاسة، وأن تتسلط بها قوى الشر العالمي على الشعوب المستضعفة،

وتهيمن على مقدراتها، وتسخرها لتحقيق مصالحها غير المشروعة ولاسبيل أمامنا لإصلاح المجتمعات البشرية، والنهوض بالشعوب المستضعفة، وتحريرها من سلطة السفهاء من الأشرار والانتهازيين، إلا بالعودة إلى فطرتنا العقلية وإحياء المنهج العقلي من جديد، وتحكيمه في جميع شؤون حياتنا الفردية والاجتماعية والسياسية، والصمود والتصدي لكل المشاريع الفكرية والثقافية المنحرفة عن الطبيعة الإنسانية، والتي تروج لها الأبواق والمنابر الإعلامية في الشرق والغرب؛ من أجل إزاحة هذا الكابوس الجاسم على صدور الأمة، وتحقيق العدالة الإلهية، والحضارة الإنسانية الحقيقية.

وفي نهاية المطاف نختم بما روي عن أفلاطون الحكيم في رسائله، في التأكيد على ضرورة إقامة الحكومة العقلية الإلهية؛ ليكون مسك الختام:

((لقد انتهيت في نهاية الأمر إلى أن الدول جميعها تدار إدارة سيئة، وأنّ حالة التشريع في كل مكان قد بلغت درجة من السوء تجعل من المحال إدخال أي تحسين عليها، إلا إذا أعدنا بناء كل شيء من جديد بحزم، وإنه بدون الفلسفة الحقة لا يمكن الاهتداء إلى العدالة الحقة، وأنّ البشرية لن تضع حداً للشر إلا عندما يتمتع الفلاسفة الحقيقيون بالسلطة السياسية، أو عندما يصبح الساسة بمعجزة ما فلاسفة حقيقيين))[1].

---

(1) الرسالة السابعة.

وبعقول باصرة وقلوب ناظرة نترقب ظهور فجر الحياة الإنسانية، وطلوع شمس الحكمة العقلية ... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر

1. أصول المعرفة والمنهج العقلي
2. نفس الشفاء
3. برهان الشفاء
4. منتهى المراد
5. تطهير الأعراق
6. الرسالة السابعة ـ افلاطون
7. المخرج من أزمة التعليم ـ الدكتور المصطفى حميمو
8. الجمهورية - ى افلاطون
9. شرح الإشارات - الرازي
10. أراء المدينة الفاضلة ـ الفارابي

الفهرس

الفصل الرابع الدور المشرق للعقل في تحقيق الكرامة الإنسانية

الفصل الخامس جنود العقل والجهل

الفصل السادس إدارة العقل للصراع الداخلي